الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم التسلسلي.....

مستويات تلقي السرد في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

شعبة السرد العربي القديم

إعداد الطالبة

راضية صحراوي

إشراف الأستاذ الدكتور

دياب قديد

لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور:حسن كاتب.....رئيسا

الأستاذ الدكتور:دياب قديد .....مشرفاومقررا

الأستاذ الدكتور: رشيد قريبع.....عضوا مناقشا

الأستاذ الدكتور:محمد بن زاوي.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2011-2012

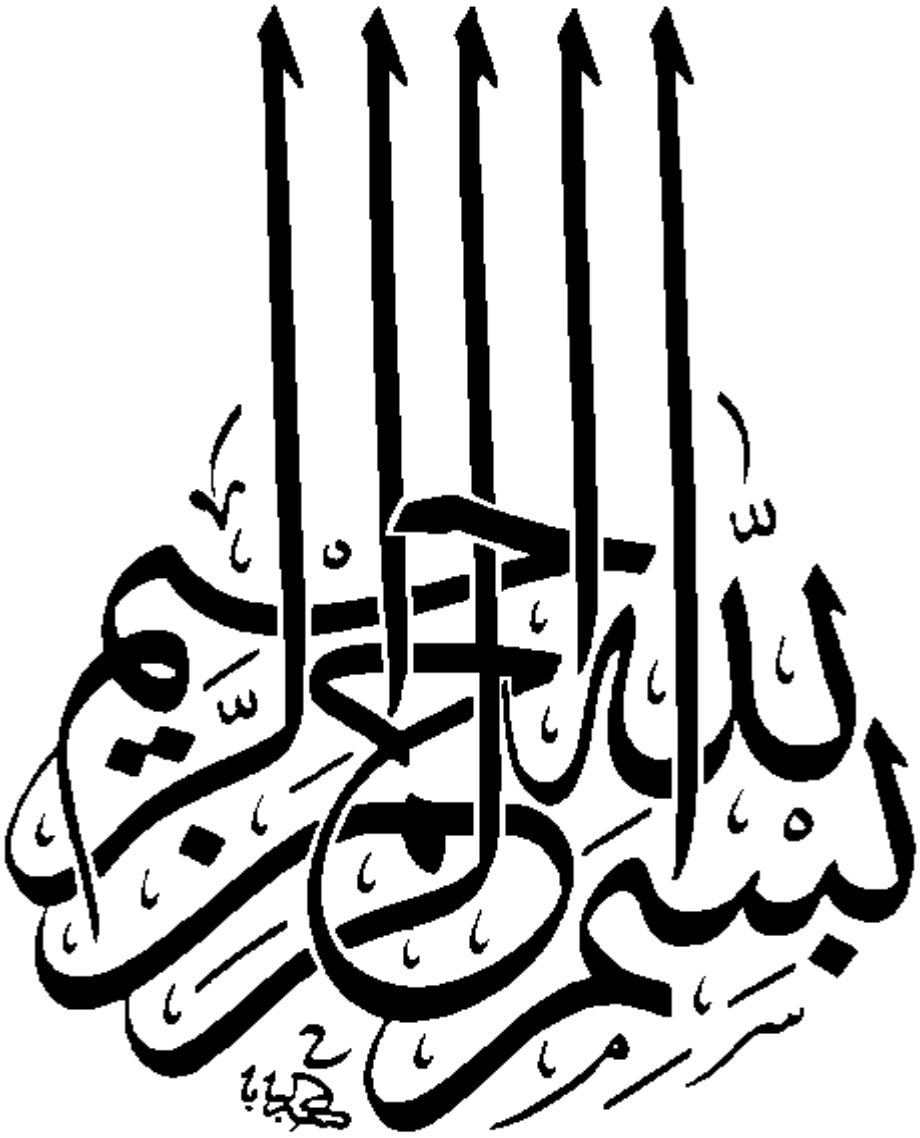
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى معلمي الأولين اللذين رعياني حتى أوصلاني إلى

شاطئ العلم

"أمي و أبي"

إلى "جدي " الذي كان يحلم دوما أن يراني أتبوأ

أعلى المناصب

إلى كل إخوتي و أخواتي

إلى كل أسرتي

إلى كل طلاب العلم

إلى هؤلاء جميعا أقدم هذا العمل .....

شكر وتقدير

جزيل الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور **"دياب قديد"**
على طول صبره وتفهمه لك مني أسمى عبارات الشكر والتقدير
جزيل الشكر لأساتذتي من لجنة المناقشة الذين يسهرون على قراءة هذا البحث وتقييمه .
شكر جزيل للأستاذ ***"خالد أقيس "*** على تشجيعاته التى بفضلها اكتمل هذا البحث لك مني خالص الشكر و التقدير
إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث لكم مني جزيل الشكر والعرفان

مقدمة

مقدمة:

يشكل الموروث السردي العربي القديم عامة و عند أبي حيان خاصة نموذجا متفردا من حيث الأداء والصياغة والتشكيل ، إذ قدم أبو حيان التوحيدي صورة دقيقة و صريحة على مختلف أشكال الحياة الإجتماعية و السياسية و الأدبية في عصره ، ذلك أنه حاول رسم معالم عصره من خلال كتابه الإمتاع و المؤانسة الذي كان نتاجا للمسامرات التي جرت بين التوحيدي و ابن العارض خلال أربعين ليلة .

إن هذا البحث هو قراءة حداثية من منظور نظرية التلقي التي تكشف عن مستويات متعددة في الخطاب المروي المعاصر، وطرائق التعبير فيه من أجل تحديد مستويات التلقي لأي منجز سردي.

من هنا تحاول هذه المذكرة ملامسة عمق مستويات تلقي الإمتاع و المؤانسة مع مراعاة الفارق بين السرود الشفاهية والكتابية ، و ما ينبثق عنها من تغييرات على مستوى البنية السردية.

إنطلاقا من هذا التصور الإبستمولوجي جاءت هذه المذكرة للوقوف عند مختلف مستويات تلقي النص السردي وخاصة من خلال الإمتاع و المؤانسة ، لأن أبا حيان التوحيدي لا يعرض بالتفصيل لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بسرده ووصفه، بل في أحيان كثيرة يسكت عن قضايا يتركها للقارئ للإطلاع عليها ، والكشف عن خباياها إنطلاقا من قدرة القارىء على استكناه بنية النص المسرود كتابة أو مشافهة ، وجعله مندمجا بصورة كبيرة ما يقدم إليه من سرد أو وصف لأي ظاهرة أقضية يعرضها على المستمع.

و على هذا الأساس تميز الإمتاع و المؤانسة بطريقة خاصة في سرده ، و مسامراته الليلية مع الوزير ، إذ منذ الوهلة الأولى وضع أبو حيان التوحيدي شروط الحديث بينه و بين ابن العارض ، و لتحقيق التواصل مع الوزير و إرضاءه إعتمد التوحيدي على أساليب مختلفة منها الخبر والحوار الذي شكل عنصرا هاما من عناصر السرد التوحيدي طرفاه الرئيسيان ابن العارض و التوحيدي، الأول يسأل و الثاني يجيب إلى ان يحصل الفهم عن طريق التنويع في الأساليب كالسؤال، التعليق، الرواية،الإسناد.

إن طبيعة المادة المطروحة في كتاب الإمتاع و المؤانسة مكنته من أن يكون ميدان خصبا للدراسة لأنه كان نتاج إجتماع ثقافتين مختلفتين ، ثقافة التوحيدي و ثقافة ابن العارض ، فقد كان لكل منهما مخزونه الكافي الذي ساعده على أن يكون عضوا فاعلا في إنتاج ليالي الإمتاع و المؤانسة ، فتعدد الرواة عل مستوى الليالي و تعدد المتلقون ، وهذا ما أدى إلى تعدد مستويات التلقي .

و من أجل تحقيق مقاصد البحث و أهدافه كان لا بد من العودة إلى جميع الكتب التي أشارت إلى أشكال السرد عند التوحيدي على الرغم من قلتها ، كان أهمها **معجم الأدباء لياقوت الحموي** ، و أما في الوقت الحاضر فإن هناك بعض الدراسات التي حاولت تسليط الضوء على الموروث السردي التوحيدي منها الدراسة التي قام بها سعيد يقطين في كتابه **السرد العربي مفاهيم وتجليات** والتي ركز فيها على دراسة السرد في الإمتاع و المؤانسة ، كذلك الدراسة التي قامت بها **وتيكي كميلة والموسومة ب** كتاب **الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)** التي حاولت من خلالها تسليط الضوء على التوحيدي باعتباره علما من أعلام القرن الرابع الهجري و الذي لم يحظ بالكثير من الإهتمام سواء من معاصريه أو حتى ممن

جاء بعده من الباحثين ، وقد كانت عونا لي في كشف الكثير من الجزئيات في حياة التوحيدي .

إن حرصي الشديد على قراءة الموروث السردي العربي القديم و خاصة التوحيدي هو ما دفعني إلى أن جعلته موضوع مذكرة الماجستير بغية الكشف عن كيفية السرد، مستويات تلقيه .

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول تحت عنوان السيرة الذاتية لأبي حيان التوحيدي ،وقد عمدنا فيه للتعريف بأبي حيان التوحيدي منتج "الإمتاع و المؤانسة" ووقفنا على السياقات التاريخية و الثقافية و النفسية التي ساهمت في بلورة شخصيته و تجربته الإبداعية .

وقد خصصنا جزءا من هذا البحث للحديث عن العناصر البيوغرافية في حياة التوحيدي،أما الجزء الثاني فخصصناه للحديث عن الأحوال السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية السائدة في عصره والجزء الثالث خصصناه لبيئته الثقافية والجزء الأخير فخصص للحديث عن النهاية المؤلمة لأبي حيان ككاتب ، و إشكالية حرقه لكتبه ،

وللوقوف عند كل هذه التفاصيل من حياة التوحيدي إعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها معجم الأدباء لياقوت الحموي، أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء لزكريا ابراهيم.

أما الفصل الثاني فعنوانه البنية السردية في الإمتاع و المؤانسة ، وتعرضنا فيه للحديث عن الفوارق الموجودة بين الخطاب الشفاهي و الخطاب المكتوب، ووقفنا عند أهم التغييرات التي تحصل ، كما حاولنا الوقوف على البنية السردية للنصوص إنطلاقا من تحديد مفهوم السرد التوحيدي و التركيز على أهم مكوناته ، الخبر والحوار ، و بحثنا في مصادر الحديث لدى التوحيدي ، وقمنا بدراسة الفضاء على مستوى الإمتاع و المؤانسة

و قسمناه إلى نوعين ، الفضاء الجغرافي الذي جرت فيه المسامرات و هو المجلس ، حددنا الوضعيات المختلفة للمجلس عموما ، ثم مجلس الوزير ابن العارض خصوصا ، واستخلصنا مواصفاته من خلال ما ورد في نصوص الليالي.

كما حاولنا دراسة الزمان و لاحظنا أنه ينقسم إلى زمنين مختلفين ، زمن إجراء المسامرات و زمن الحديث الفعلي و زمن الكتابة الذي شكل مرحلة ثانية من مراحل إنتاج نصوص الإمتاع و المؤانسة، وقد إعتمدنا على مجموعة من المراجع التي إهتمت بدراسة البنية السردية نذكر منها بينة النص السردي لحميد لحميداني، الرواية و التراث السردي لسعيد يقطين وغيرهما من الدراسات.

أما الفصل الثالث فعنوانه مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة ، حاولنا من خلاله البحث في مستويات تلقي النصوص السردية منطلقين من تحديد أنواع المتلقين ، وقد إعتمدنا هذا التقسيم : متلقي عام |متلقي خاص ، متلقي سلبي|متلقي إيجابي ، متلقي معياري ، متلقي سامع | متلقي قارئ ، ومن خلال هذا التحديد بحثنا في مستويات تلقي الإمتاع و المؤانسة وحددنا مستويات تلقي هذه النصوص في ثلاثة أشكال ، متلقي سامع ، متلقي قارئ ، متلقي متكلم|كاتب و في هذا السياق إعتمدنا على مجموعة من المراجع الخاصة بالتلقي أهمها : فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب لإيزر فولفغانغ ، و روبرت هولب ، نظرية التلقي

أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد زاوجنا بين المنهج التارخي، البنيوي ونظرية التلقي التي أرسى دعائمها ياوس و آيزر.

وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتني تقيم الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "دياب قديد" على جميل صبره و تفهمه ، والذي أحاط هذا البحث بالرعاية و المتابعة العلمية

الجادة والمتميزة ، وبتشجيعاته التي كانت دافعا قويا لتقديم البحث على هذه الصورة فكان نعم المشرف فله مني جزيل الشكر.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء قراءة هذا البحث .

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد أسهمت بعملي هذا المتعلق بدراسة الموروث السردي التوحيدي في الكشف عن بعض خصائص النصوص الأدبية التراثية ،وكذا في إنارة الطريق للباحثين الراغبين في إثراء ميدان البحث في مجال السردية العربية.

الفصل الأول:

1. سيرته
2. المظهر السياسي و الإجتماعي
3. بيئته الثقافية
4. مهنة التوحيدي
5. مهنتـــــه
6. أساتذتـــه
7. مؤلفاتـــه
8. حرق التوحيدي لكتبه
9. أسباب الحرق

تمهيـــــــد:

يعد أبو حيان التوحيدي رمزا من رموز الثقافة العربية وعلما من أعلام العصر العباسي أرخ لحقبة زمنية مهمة من مراحل تطور الثقافة العربية،أهمله معاصروه لسوء أخلاقه – من وجهة نظرهم- وأنصفه المحدثون لكونه يمثل قيمة أدبية كبيرة.فهو يلخص أحسن ما وصل إليه العصر العباسي من تطور علمي وثقافي لثقافته الموسوعية وبراعته في شتى العلوم فلقبه بعض الباحثين بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء.

ساهم التوحيدي في تصوير حياة الناس خلال القرن الرابع الهجري متأثرا بالمظاهر السياسية الإجتماعية و الثقافية التي عاشها في طفولته وشبابه،ويتضح ذلك جليا من خلال كتاب " الإمتاع والمؤانسة" الذي شكل وثيقة هامة صورت الكثير من الأخبار والمرويات ونمت عن معرفة كبيرة وتجارب عميقة وظروف نفسية شاقة عاشها. وحولها إلى معرفة موسوعية لأحوال العصر والزمن والإنسان حاول تجسيدها من خلال رؤية فلسفية خاصة عبر مؤلفاته وطوال مراحل عمره .

شكل الحديث عن المظهر السياسي الجانب الأكبرمن كتاب الإمتاع والمؤانسة على اعتبار أنه المؤثر الفعلي في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والفكرية، وقد حاول أبو حيان إبداء آرائه الصريحة أو الضمنية من خلال ليالي السمر مع" ابن العارض" منفعلا بما كان يعيشه ويسمعه من قضايا سياسية جوهرية متعلقة بنظام الحكم ، وكان لا يتردد في طرح الحلول لبعض مشكلات عصره ، كما أنه لا يتردد في إصدار أحكام جريئة عن رجال السياسة في عصره كالصاحب بن عباد وابن العميد.

لقد كان لتدهور الأوضاع السياسية في عصر أبي حيان أثر واضح على الحياة الإجتماعية والإقتصادية، ساءت الأحوال وعمت الفوضى وانتشرالفقر بين طبقات المجتمع و انعدم الأمن واستحالت الحياة بسبب انتشار الخوف والرعب بين أوساط العامة نتيجة الصراع المذهبي في المجتمع.

حاول التوحيدي تقصي كل مظاهر الفساد و الخلل الإجتماعي السائدة خلال عصره، وقد عكف على تصويرحياة الناس بكل مظاهرها ونقل صورة واضحة عن كل ما كان سائدا من فساد الأخلاق عند العامة و الخاصة و لم يتوان في كشف عيوب زمانه و هذا من باب حرصه على نقل صورة حقيقية عن عصره لأن الوزير ابن العارض كان مهتما بالتعرف على شؤون البلاد باعتباره رجل السياسة الحريص على تقصي أحوال العامة والخاصة.

عاش التوحيدي تعيسا طوال حياته ، في صراع دائم مع الناس ومع نفسه لأن طموحه كان جارفا اعتز بنفسه كثيرا وكان يرى أنه يستحق المكانة الرفيعة والجاه، إلا أنه ظل طول حياته يلهث وراء المجد والمال فلم ينل إلا اليأس والحرمان وما كان منه إلا أن أحرق كتبه تعبيرا عن سخطه وظنا بها على أهل زمانه لأنه لم يجد فيهم من يعرف قيمتها بعده.

لقد أحرق التوحيدي كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره في عشر التسعين أي قبل أربعة عشرة سنة من وفاته؛ هذه الظاهرة الغنية بالدلالات دفعت الكثير من الباحثين والنقاد إلى دراستها والتركيز على الحالة النفسية للتوحيدي والتي نتجت عن تراكم مجموعة من العوامل الإجتماعية والسياسية و البيئية عاشها التوحيدي فعملت على تكوين شخصية قلقة ومضطربة.

وقد ساعدت الرسالة التي بعثها إلى صديقه القاضي أبي سهل- سنة أربعمائة هجرية- في فهم نفسيته القلقة في أواخر حياته والتي حاول من خلالها تبرير فعل الحرق و التعبير عن أسفه وخيبة أمله بعد أن انكشفت له الحياة على حقيقتها .

وحتى يعزز نية الحرق هذه و يقنع نفسه بصحة قراره ويقنع الناس بعده أقدم على استخارة الله أياما وليال حتى أوحى إليه في المنام وانتهى مقدما على ما فعل غير متردد ولا هياب وأمضى ما تبقى من عمره متصوفا زاهدا حتى آخر أيام حياته.

1.سيـــــــرته:

1.1.إسمـــــــــه :

هو علي بن محمد بن العباس [1] المكنى بأبي حيان التوحيدي والظاهر أن كنيته غلبت على اسمه في حياته ويرجح البعض أنه اكتسب لقب التوحيدي نسبة لحرفة والده إذ كان يبيع نوعا من التمر يسمى التوحيد ببغداد وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله:

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد[2]

فيما يرجح بعض الباحثين أن هذا اللقب هو نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين عند المعتزلة اذ كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ؛إلا أن محمد عبد الغني الشيخ ينفي هذا الزعم ويرجح إنتماءه ونسبته إلى حرفة والده ويظهر ذلك جليا من خلال كتاباته ومعاركه مع المتكلمين والمعتزلة بصفة خاصة ،ويستدل على ذلك بمقولة للتوحيدي سجلها في كتاب مثالب الوزيرين تجعله في في رأيه بعيد النسب إلى أصحاب العدل والتوحيد من المعتزلة يقول ابو حيان "**وكان مع هذا المذهب الذي يدل به ويسميه العدل والتوحيد قليل التوبة إلى القبلة ،قليل الركوع والسجود ،وكان من حفظه الغزير عليه مؤتة في تلاوة آية من كتاب الله عز وجل**"[3]

و لوكان التوحيدي من أصحاب العدل والتوحيد لما تكلم عنهم بهذا التهكم.

---

[1] _ ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،ج15 ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ص5

[2] _أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، المجموعة الكاملة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور المقدمة ص 1

[3] _ وتيكي كميلة ، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)دار قرطبة الطبعة الأولى 2004

2.1.أصلـــــــه:

أجمع مؤرخو سيرة أبي حيان التوحيدي على صعوبة تحديد الأصل الذي انحدر منه ، ويرجع ذلك لانعدام أخباره وهو ما أكده صاحب معجم الأدباء إذ نجده يقول أنه لم ير أحدا من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمجه في ضمن خطاب[1]، و يرجح أنا سبب عزوف المؤرخين و غفلتهم أو تغافلهم عن الترجمة له – رغم علمه الواسع وبيانه الرائع- كان بسب أخلاقه على ما يظهر[2] لأنه كان دائم السخط على زمانه و أهل زمانه ؛ فقد عاش طول حياته في صراع بين نفسه المتشوقة إلى النعيم و الرفاهية وشعوره بالعجز عن تحقيق أمانيه ورغباته ومن نتائج هذا كله أن اشتد حسده لذوي المال والنعم ، و ازدادت كراهيته للناس ورغبته في النيل منهم و التشنيع عليهم وهم في نظره " **سباع ضارية وكلاب عاوية ،وعقارب لساعة ، وأفاعي نهاشة** "[3] ،وربما كان هذا سببا في عزوفهم عنه وإهمالهم له فلم يكن في نظرهم يستحق العناية في حياته وحتى بعد وفاته .

وربما كان هذا التكتم عن حياة أبي حيان هو ما جعل ياقوت الحموي يحتار في تحديد أصله فقال " **شيرازي الأصل وقيل نيسابوري ،ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي**"[4].

أما بعض من حاول تحديد أصله فلم يجمعوا على رأي واحد ، فبعضهم زعم أنه فارسي الأصل أمثال **السندوبي وزكي مبارك** الذي نجده يقول"**يكفي أن تعرف أنه فارسي الأصل وأنهم ترددوا في نسبته إلى واسط أو نيسابور**"[1].

---

[1] _ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج15، ص5

[2] _ محمد كرد علي ، أمراء البيان ، الطبعة 3، دار الكتب بيروت ، لبنان ،1969،ص452

[3] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤنسة ، ج1، 42

[4] _ ياقو ت الحموي ، المرجع نفسه ،ص 4

و ذهب عبد الرحمان بدوي إلى القول بأنه كان " **من أولئك الموالي الذين اختلطت فيهم الدماء و العناصر فكونت مزيجا غريبا على أنه كان يشعر بوشاجة قربى مع الغرباء و الأفاقين حتى كان لا يخالط إلا الغرباء و المحتدين الأدنياء الأردياء وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم .إذ كان يرتد إليهم مهما زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم** "[2].

ويدخل هذا الاختلاف ضمن الشكوك التي أثيرت حول أبي حيان التوحيدي للتشكيك في عروبته. فيما ذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على عروبة أبي حيان **كمحمد علي كرد** ، و**أحمد محمد الحوفي** مستندين في ذلك إلى سببين : أولهما عدم إتقانه اللغة الفارسية ، وثانيهما انعدام ما يشير إلى فارسيته في جميع مؤلفاته ولو كان كذلك لتباهى بفارسيته في حين كانت فيه الدولة للفرس[3]

و ربما يكون الرأي القائل بعروبة أبي حيان هو الأرجح و الأقرب إلى الصواب بالنظر إلى كنيته واسم أبيه وجده "**أبو حيان علي بن محمد بن العباس**" كما أن أبا حيان كان متعصبا للعرب وفضلهم عن العجم من خلال رده على الجيهاني فيما يقارب العشرين صفحة مدافعا عن العرب [4]ومفضلا إياهم عن العجم لصحة الفطرة و اعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم .

---

[1] ــ زكي مبارك النثر الفني ، ص 89

[2] ــ زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء الطبعة 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974،ص 14

[3] ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج1 ص ص 58،73

ورغم الحيرة التي وجدناها عند المؤرخين في تحديد أصل أبي حيان، كان هو قليل الاحتفال بالفوارق العنصرية و الخلافات الجنسية فلا فرق عنده بين عربي وفارسي لأنه لم يكن يهتم بعلمه ودينه وخلقه، وحاول طوال حياته أن يكمل نفسه بالعلم و الدين و الأخلاق وسعى جاهدا إلى ربط الحكمة النظرية بالحكمة العلمية.[1]

إنطلاقا من هذه الأخبار نرجح أن يكون أبو حيان عربي الأصل ، ولعل ما يؤكد هذا هو دفاعه عن العرب بشكل لافت للإنتباه.

[1] ــ زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص ص 15-16

3.1.مولـــــــده:

لقد كان من الصعب على المؤرخين تحديد مولد التوحيدي و ذلك بسبب تغافل معاصريه عن الترجمة له لسوء أخلاقه لأنه كان دائم السخط على زمانه حاقدا على من حوله بسب بؤسه وشقائه اللذين لازماه طيلة حياته وحتى بعد وفاته.

و على ما يبدو فقد كان للتوحيدي دور في هذا التعتيم و الغموض، ولو قدم ترجمة ذاتية على غرار ما فعل غيره من الأدباء لما استعصى الأمر على المؤرخين و الأرجح أن التوحيدي لم يجد في طفولته أو شبابه ما يحب لنفسه الخوض فيهما ، والمتصفح لمؤلفاته لا يجد فيهما إشارة لماضيه وأغلب الظن أنه عاش طفولة بائسة حرم فيها العطف و الحنان فاتسمت حياته بالقمع والحرمان، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول أن التوحيدي كان يعلم أنه انحدر من أسرة فقيرة عديمة النسب و الحسب فلم يجد بدا من الحديث عنها والإشارة إليها[1].

ولعل كل من حاول تحديد مولده كان يعتمد على نوع من الإستنتاج و الترجيح مستندا إلى إشارات كانت مبعثرة ضمن مؤلفاته ، ونجد **زكريا إبراهيم** [2]يقول أنه ولد ببغداد سنة 310هـــ ووافقه في ذلك إبراهيم الكيلاني [3] ، وقد استند معظم من حدد هذا التاريخ إلى إشارتين اثنتين:

الأولى وردت في كتاب المقابسات وفيها يعترف بأنه جاوز العقد الخامس من عمره،

[1] ـ زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ص17

[2] – المرجع نفسه , ص 16

[3]– إبراهيم الكيلاني ,أبو حيان التوحيدي , الطبعة الثانية , دار المعارف , مصر , ص 12

و ينص في الوقت نفسه أنه ألف الكتاب سنة 360هـ ، أما الثانية فقد وردت في رسالته التي كتبها إلى **القاضي أبي سهل بن محمد** سنة 400هـ يقول فيها أنه بلغ **"عشر التسعين"**[1]

وعلى هذا يمكن القول أن التوحيدي قد ولد حوالي سنة310، أو 311 الهجرية على الوجه التقريب.

و يذهب نور الدين بن بلقاسم إلى أن التوحيدي قد ولد بين سنتي 312هـ و 320هـ ببغداد أو بإحدى قرى العراق ،و الفترة الممتدة من تاريخ ميلاد إلى سنة 350هـ هي فترة غامضة من حياته لا أحد يعرف عنها شيئا[2].

فيما لم يستطع محمد كرد علي تحديد تاريخ دقيق لمولد أبي حيان و اكتفى بالقول أن أبا حيان " **ولد على الغالب في أواخر القرن الرابع أو في أوائل العقد الثالث"**[3] .

و يرجح بعض الباحثين أن طبيعة العصور الماضية كانت سببا في صعوبة تحديد ميلاد علم من الأعلام، حيث لم يكن الناس يهتمون بتقييد مولد أبنائهم كما هو حاصل اليوم.

أما عن وفيات هؤلاء الأعلام فقلما تجهل أو يختلف فيها ومرد ذلك إلى عناية كتب التراجم بزمن الوفاة أكثرمن عنايتها بزمن الميلاد " **ولكن عند البحث في حياة أبي حيان، نلقى عسرين ، عسرا في تعرف مولده ، وعسرا في تعرف وفاته ، كأنما اتفق**

[1] - ياقوت الحموي , معجم الأدباء , ج 15, ص 20

2- وتيكي كميلة . كتاب الإمتاع والمؤانسة بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة . ص 18

[3] - محمد كرد علي . أمراء البيان . ص 449

الناس على إهماله ميتا كما أهملوه حيا ، وكأنما أبى حظه العاثر وحقه المهضوم إلا أن يلازماه في الممات كما لازماه في الحياة." [1]

4.1.وفاتـــــــه:

إختلف الدارسون في تحديد زمن وفاته كما اختلفوا في تحديد زمن مولده وهو ما لم يحدث مع أي علم من الأعلام " **وليس هذا بالخلاف الهين و إنما هو خلاف جسيم يرجع بوفاته إلى سنة 414هـ فأي خلاف ذلك الذي يفصل بين زمنين أكثر من نصف قرن؟"** [2].

ويذكر الشيرازي في كتابه المعروف بهزار مزار أن التوحيدي توفي سنة 414هـ ودفن بشيراز ، يقول أنه كان بين أبي حيان وبين شيخ الشيوخ أبي الحسين شيء فلما مات أبو حيان قال شيخ الشيوخ أبي الحسن رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك ، فقال غفر لي رغمك ، فلما أصبح أمر شيخ الشيوخ أصحابه فحمل في محفة إلى قبره ليصلي عليه ، فزاره وأمر بلوح كتب عليه : هذا قبر أبي حيان التوحيدي فوضع على قبره توفي سنة أربعة عشرة وأربعمائة ودفن في المقبرة المحاذية للشيخ[3].

[1] ـ محمد عبد الغني الشيخ ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب ص 154

[2] – محمد عبد الغني الشيخ ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب , ص156

[3] ـإبراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ص35

وذكر **آدم متز** أن أبا حيان توفي سنة 400هـ[1] في حين كان محمد كرد علي مترددا في تحديد تاريخ وفاته فهو يذكر أنه "**مات على رأس الخمسمائة أو بعد بقليل ، وقيل مات بشيراز سنة 414هـ**"[2]

والأرجح أن أبا حيان توفي سنة 414هـ لأن آراء أغلب المؤرخين اتفقت حول هذا التاريخ ، وقد حاول بعضهم تقديم أدلة تؤكد زعمهم هذا من بينهم إبراهيم الكيلاني ، ومن بين أدلته :

1- نص" **شد الإزار**" من كتاب الشيرازي المعروف بهزار مزار.

2-وجود **أبي سعد عبد الرحمان بن محجة الأصفهاني** في شيراز سنة 400هـ ، وحضوره دروس أستاذه التوحيدي فيها كما يقول **السبكي**.

3- وجود أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف علي الشيرازي في شيراز وسماعه التوحيدي، وأبو إسحاق هذا كان قد ذهب إلى شيراز سنة 410هـ طلبا للعلم و عاد إلى بغداد سنة 414 هـ بعد وفاة التوحيدي [3] .

وتبقى الفترة الممتدة بين سنة 400 هـ إلى تاريخ وفاته سنة 414هـ من حياة التوحيدي غامضة. فلا أحد يدري إن كان قد قضاها متنقلا من بلد إلى بلد يقف على الأبواب. أم كان مترويا يخالط الصوفية، أم رجع إلى شيراز حيث نوى الإقامة بقية حياته بعد أن أمضى طول حياته متنقلا بين العراق والحجاز و فارس و الجبل[4].

---

[1] محمد عبد الغني الشيخ ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، ص165

[2] _محمد كرد علي ، أمراء البيان ص 449

[3] _ إبراهيم الكيلاني،أبو حيان التوحيدي ، ص35

[4] _ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

وبعد كل هذا ألا يحق لنا القول أن أبا حيان التوحيدي ولد تعيسا، وعاش تعيسا ومات تعيسا؛ ولد تعيسا لأنه لم يجد من يحفل به ويفرح لمولده ويهتم له فيذكر تاريخ ميلاده حتى استعصى على المؤرخين فيما بعد تحديده ، وعاش تعيسا وسط أسرة لم يجد بدا من الحديث عنها في مؤلفاته ، ومنعه الحياء من الخوض فيها ، فاكتفى بالصمت لأنه كان يعلم أنه ينحدر من أسرة فقيرة عديمة النسب والحسب فلم يجد بدا من الحديث عنها و الإشارة إليها و مات تعيسا لأنه لم يجد من يذكر تاريخ وفاته .

و لا يجد الباحث في مؤلفاته شيئا عن طفولته أو علاقته بأسرته ، أوصلاته بإخوته إن كان له إخوة وهذا ما حذا بأحد الباحثين إلى القول أن أبا حيان " **فقد كل شيء في عهد مبكر، كما فقد الصديق و الصاحب والتابع والرئيس في جاري سنى عمره** "[1].

وقد أفنى حياته في التحصيل و طلب العلم علّه يجد فيهما تعويضا عن بعض ما فاته من نعم الحياة فصرفه ذلك عن التفكير في الزواج وتكوين أسرة وبعد فوات العمر لم يجد حوله " **ولدا نجيبا ، وصديقا حبيبا، وصاحبا قريبا ، وتابعا أديبا و رئيسا منيبا** "[2].

وبذلك حرم الاستقرار فقضى معظم حياته في التنقل بين بغداد والري و نيسابور وكان دائما " **قلق الركاب ، لا يكاد يستقر في مكان إلا و يزعجه أمر إلى ارتياد سواه** "[3]

و ربما ما دفعه أيضا للعزوف عن الزواج حالته المادية فقد عاش فقيرا معدما لا يملك من الدنيا شيئا و كان دخله 40 درهما في الشهر[4].

---

[1] – زكريا ابراهيم ، ابو حيان التوحيدي ، ص 17

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة 19

[3] ـ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[4] ـ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ج3 ص227

2.مظاهر الحياة عصر التوحيدي:

1.2. الحياة السياسية:

عاش أبو حيان التوحيدي من سنة 310هـ إلى سنة 414 هـ ، وأهم ما ميز هذه الفترة هو انحطاط الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث للهجرة ، حيث انقسمت إلى دويلات صغيرة آل أمرها إلى جماعات من متغلبي الأعاجم كالأتراك والفرس والديلم فجرد الخليفة العباسي من كل سلطة فعلية و أصبحت الخلافة الإسلامية ميدانا للأهوال و المآسي [1]

عمت الفوضى وازدادت الفتن بسبب طغيان بني بويه الذين حكموا العراق و جنوبي فارس زهاء قرن ونصف ، فاستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم و رفعوا منار الشيعة و أحيوا معالمها وأضعفوا نفود الأتراك الخلافة العباسية لا تزال في بغداد و لما أفضت إمارة الأمراء إلى عضد الدولة لقب بالملك و هو أول من خوطب بهذا اللقب في الإسلام.

لقد حاول التوحيدي من خلال كتاب الإمتاع والمؤانسة تصوير التصدع السياسي و الإجتماعي الذي أصاب المجتمع ، فصور لنا ثورة الروم والمسلمين ، والصراع المذهبي، مما أدى إلى إنعدام الأمن و استباحة الدماء و النهب يقول " **إلتبس الأمر على الصغار و الكبار و بمثل هذا فتحت البلاد وملكت الحصون و أزيلت النعم ، وأريقت الدماء، وهتكت المحارم وأبيدت الأمم ، ونعود بالله من غضب الله ومما قرب من سخط الله ، وإذا أراد الله أمرا كثر بواعثه و فرق نواقبه** "[2]

[1] – ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 5

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج3، ص 382

و لم يسلم التوحيدي مما جرى و يتضح ذلك من خلال رده على سؤال وجهه له الوزير **" وكيف سلمت في هذه الحالات ؟ قلت ومتى سلمت؟ جاءت النهاية إلى بني السورين ، وشنوا الغارة و اكتسحوا ما وجدوا في مترلي من ذهب و ثياب وأثاث و ما كنت دخرته من تراث العمر وجردوا السكاكين على الجارية في الدار يطلابونها بالمال ، فاشقت مرارتها ودفنت في يومها"**[1]

كما حاول التوحيدي في مسامراته إصدار أحكام على حكام عصره مبينا علاقتهم بالرعية والتي كان لها دوركبير في تقصي أحوال البلاد الإجتماعية و السياسية .

ومن بين الحكام الذين عاصرهم التوحيدي : الصاحب بن عباد و ابن العميد و ابن العارض و عز الدولة : يقول التوحيدي عن أحوال الناس أثناء ثورة الروم على المسلمين **" فالناس قد صاحوا و ضحوا خلال هجوم الروم على المسلمين و استغلال العيارين الفرصة للعبث في البلاد و أنكروا على عز الدولة إخلاله بواجباته السياسية ، إذ إنه كان زمن الفتنة مشغولا في مدينة الكوفة لانهماكه في القصف و العزف و إعراضه عن المصالح الدينية والخيرات السياسية"**[2] .

لقد كان عز الدولة سببا في فساد الأحوال يقول التوحيدي **" وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد وانتظرته ، فلما عاد قامت في وجهه و استأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ، فلم يلتفت إليهم**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج3، ص ص 387،388

[2] _ المصدر نفسه ،ص382

و لاعلاج عليهم ، وكان وافر الحظ من سوء الأدب قليل التحاشي من أهل الفضل و الحكمة "[1] .

2.2.الحياة الاجتماعية و الاقتصادية:

لم تختلف الحياة الاجتماعية عن الحياة السياسية في أواخر القرن الثالث ، تفاقم الفساد الإجتماعي و الإقتصادي، وتباعدت الهوة بين طبقات المجتمع ، فعكف البعض من أصحاب المال والسلطة على البذخ في حين حرم عامة الشعب من أبسط حقوقهم ، وقد صور لنا التوحيدي حال البؤس و الشقاء التي كان يعيشها بعض مفكري و أدباء عصره، فقد كان أبو سليمان المنطقي السجستاني " **بحاجة ماسة إلى رغيف ، و حوله و قوته عجزا عن أجرة مسكنه ووجبة غدائه و عشائه** "[2]

و كان أبو سعيد السيرافي عالما وشيخا ملأ الدنيا وأقنع أهل الأرض ينسخ في اليوم عشر ورقات بعشر دراهم ليعيش ،وكان الفيلسوف يحي بن عدي يكتب في اليوم و الليلة مائة ورقة و أكثر ، وكان المعافي بن زكريا النهرواني ذا أنسة بسائر العلوم ، شاهده تلميذه التوحيدي في جامع الرصافة وقد نام مستدبرا الشمس في يوم شات و به من أثر الفقر و البؤس أمر عظيم ، مع غزارة علمه و اتساع أدبه وفضله المشهور [3] .

لقد دفعت هذه الأحوال المزرية بالأدباء إلى قصور الخلفاء طلبا للرزق ، فغلب على الأدب التكلف و المبالغة المنافية للذوق و العقل ، فنجد التوحيدي يخاطب أبا الوفاء مستعطفا معتذرا بقوله " **أنا سامع مطيع وخادم شكور مثلك يعفو ويصفح ، و أنت**

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج2ص284

[2] – المصدر نفسه ، ج1 ،ص 130

[3] – ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي، ص ص9،10

مولى وأنا عبد ،وأنت آمر وأنا مؤتمر ، أنا أدعك واجدا علي ؟ و أرقد وأنت ماقت لي ؟ وأجد حس نعمة أنت وهبتها إلي؟ وألذ عيشا أنت أذقتني حلاوته ؟ أنسى أياديك وهي طوق رقبتي وتاج عيني و حشو نفسي وراحة حلمي ، وزاد حياتي و مادة روحي ؟ "[1] .

أو كما كتب لابن العميد مستعطفا " **أصلح أديمي فقد حلم ، وجدد شبابي فقد هرم و أنطق لساني في اصطناعي ، فقد شردت صحائف النجح عند انتجاعي ،ورش عظمي فقد براه الزمان وأكس جلدي فقد عراه الحدثان "** [2].

يظهرأبوحيان في مواضع كثيرة من الإمتاع و المؤانسة شاكيا من الفقر المعدم ، متوسلا إلى صديقه أبي الوفاء المهندس ، مبديا استعداده إلى أن يبيع قلمه و لسانه حتى يخرج من ضيق العيش يقول في رسالته إلى أبي الوفاء المهندس " **خلصني أيها الرجل من التكفف، أنقدني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضر ،اشتري بالإحسان ، اعتبدني بالشكر، استعمل لساني بفنون المدح ،اكفني مؤونة الغداء و العشاء .... إلى متى هذه الكسيرة اليابسة ،و البقيلة الداوية ، و القميص المرقع ، و باقي درب الصاحب وستاب درب الرواسين "**[3]

لقد فشل التوحيدي في الاندماج والإنتماء إلى الحياة التي تضمن له العيش بالوسائل و الطرق التي كان يحسنها الآخرون بسبب قلة ذكاءه الاجتماعي، فلم يجد إلا الوراقة

[1] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ج1 ،ص11

[2] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[3] - المصدر نفسه ، ج2، ص 226

مهنة لم تكفه ذل السؤال ، يقول لأبي الوفاء المهندس " **قد أذلني السفر من بلد إلى بلد، وخذلني الوقوف على باب الباب و تركني العارف بي و تباعد عني القريب مني** "[1].

و إذا كان الأدباء قد قصدوا الخلفاء لطلب الرزق ، فإن طبقات أخرى من المجتمع تكالبت على جمع المال ، وقد حاول التوحيدي من خلال كتابه تسليط الضوء عليها بقوله " **و أما الداركي فقد إتخد الشهادة مكسبة ، وهو يأكل الدنيا ويغلب عليه اللواط ، ولا يرجع ثقة و أمانة ، و لقد هتك بنيسابور قديما ، وببغداد حديثا ، هذا مع النداماة و الوخامة ، و لقد ناد بجعل غلام ، و هو اليوم قاضي الري و ابن عباد يكنفه و يقربه ليكون داعية له ، و نائبا عنه ، وليس .... وهو اليوم قارون وقد علت رتبته في الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا انه مع ذلك نقل الباطن خبيث الخبث ، قليل اليقين** "[2].

3.إتصاله بالوزراء :

حاول أبو حيان التوحيدي مرارا الخروج من ضائقته المالية فاتصل بالوزراء و الأمراء عله يجد عندهم ما يقيه ذل السؤال وشظف العيش .

أ.إتصاله بالمهلبي :

إتصل أبو حيان بوزير معز الدولة أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي (291-352) وقد كان للمهلبي شخصية قوية أدت دورا مهما في العصر البويهي ، كما كان " **حسن الأنباء عن نفسه ،فصيحا ، مهيبا ،سخيا شجاعا لا يتحرك من نواب الدهر ، أديبا**

[1] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1،ص16

[2] _ المصدرنفسه ، ج1 ، ص 103

يفصح بالفارسية ،فتلاقى أكثر ما درس من رسوم الكتابة و استدرك كثيرا من العمارات ، وأثار وجوه الأموال من مواضعها فحسنت آثارها "[1] .

عرف بحبه لأهل العلم و الأدب وعطفه على الكتاب و الأدباء " **فأحيا ما كان درس و مات من ذكرهم و نوه ، ورغب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها"**[2]

و ربما هذا ما دفع أبو حيان للتقرب منه ، والظاهر أن أبا حيان لم يطل به الأمد في كنف المهلبي ، لأنه جاهر بآرائه التي لم ترقه ولم يرض عنه لأنه لم يكن متسامحا مع أصحاب العقائد و الجدل و البدع " ...**ونفاه المهلبي المتوفي عام 352هـ (963م) من بغداد ، و كان يعيش فيها من الكتابة، لزندقته في آرائه التي أوردها في مصنفات له فقدت الآن .....**" [3]

و الراجح أن سبب اتهام أبي حيان بسوء العقيدة والزندقة و الانحلال هو تأليفه لكتاب " **الحج العقلي إذ ضاق الفضاء عن الحج الشرعي**" الذي يتضمن آراء منافية لقواعد الإسلام.

ب.إتصاله بابن العميد:

لم ينل التوحيدي ما كان يصبو إليه من المهلبي فرحل إلى الري ، أملا في تعويض ما فاته و اتجه إلى ابن العميد عله يحظى بالثروة والجاه ، وقد كان لابن العميد شأن كبير وعرف بكرمه وسخائه ، فقصده الشعراء ومدحه النقاد لفصاحته و بلاغته ، يقول ابن مسكويه " **أوتي من الفضائل و المحاسن ما بهر به أهل زمانه ، حتى أذعن له العدو ،**

[1] – ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 12

[2] – المرجع نفسه الصفحة نفسها

[3]– زكريا ابراهيم أبو حيان التوحيدي ، ص 39

و سلم الحسود ، ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له .....فمن ذلك أنه كان أكتب أهل عصره... وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل، فإنه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازله..."[1]

قصد التوحيدي ابن العميد أملا أن يخرجه من ضائقته المالية ، إلا أنه خرج صفر اليدين ، و لم ينل إلا الذل و الهوان ، و قد أرجع البعض سبب سوء العلاقة بين الرجلين إلى أن أبا حيان " **لم يكن يتمتع بقدر كبير من اللباقة في معاملة الرؤساء و الوزراء فضلا عن أنه كان معتدا بنفسه إلى الحد الذي كان يجرح شعور أصحاب السلطة من ذوي الجاه و الأبهة"**[2].

ولعل ابن العميد قد آلمه اعتداد التوحيدي بنفسه ، واستطالته عليه فاحتقره وازدراه، وما كان من أبي حيان إلا أن رد له الجميل فألف فيه كتابا حاول من خلاله الانتقاص من وزنه و الانتقاص من قدره.

ج.إتصاله بالصاحب بن عباد:

كانت خيبة أمل أبي حيان في ابن العميد كبيرة وهذا ما حمله على الرحيل و الاتصال بالصاحب بن عباد أملا منه أن يجد عنده ما لم يجده عند ابن العميد.

كان ابن العميد يتمتع بشهرة عمت أنحاء العالم الإسلامي، وترقى به الحال حتى تولى الوزارة لمؤيد الدولة أبي منصور بويه ، وهو أول من لقب بالصاحب لأنه كان يصحب ابن العميد، وهذا ما دفع بالتوحيدي إلى أن يقصده " **بأمل فسيح وصدر رحيب** "[3] ،

[1]– ابراهيم الكيلاني ، ابو حيان التوحيدي ، ص 20

[2]ـ زكريا ابراهيم ، أبو حيان التوحيدي،ص 39

[3] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 15، ص28

فطلب منه الصاحب أن ينسخ له الكتب ، فرفض التوحيدي طلبه هذا لأنه كان يريد التخلص من حرفة الشؤم التي فيها ذهاب البصر .

وكعادته رحل التوحيدي تاركا الري ناقما ، وعاد إلى بغداد سنة 370هـ " **عاتبا على ابن عباد ، مغيظا منه ، مقروح الكبد لما ناله من الحرمان المر والصد القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقدع المؤلم ، والمعاملة السيئة والتغافل عن الثواب ، وحبس الأجرة على النسخ و الوراقة ، والتجهم المتوالي عند كل لفظة ولحظة** " [1]

ومهما يكن من شيء فقد انتهت العلاقة بين الرجلين، إذ فارق التوحيدي الصاحب بعد ثلاث سنوات قضاها عنده لم ينل خلالها درهما على الرغم من كل ما نسخه له ، وأرجع سبب هجاءه له إلى ما جرعه إياه من مرارة الخيبة " **مع الخدمة الطويلة و الوعد المتصل و الظن الحسن حتى كأني خصصت بخساسته وحدي ، أو وجب أن أعامل بها دون غيري ، قدَّم إلي نجاح الخادم وكان ينظر خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال لك انسخ هذا فإنه قد طلب منه بخراسان : فقلت بعد ارتياء هذا طويل ، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقرا كالغرر وشذورا كالدرر ، تدور في المجالس كالشمامات و الدستنبويهات**"[2].

ثم أردف قائلا وقلبه مليء بالحسرة على حاله " **وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب ، حتى أعذره في لومي على الامتناع ، أينسخ إنسان هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يمنه الله ببصره ، أو ينفعه ببدنه ؟ ثم ماذنبي إذا قال لي من أين لك هذا الكلام المفوف، المشوف الذي تكتب**

[1] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1،ص11

[2] ـ ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،ج15، ص34

إلي به في الوقت بعد الوقت؟ فقلت وكيف لا يكون كما وصف مولانا و أنا أقطف من ثمار رسائله ، واستقي من قليب علمه و أشيم بارقة أدبه"[1].

والواضح أن أبا حيان كان معتدا بنفسه ، عارفا بقدره ، وكان يرى في ابن عباد شخصا **" شديد الحسد لمن أحسن القول و أجاد اللفظ"**[2]

وقد أرجح إبراهيم الكيلاني إخفاق التوحيدي في علاقته مع ابن عباد إلى عدة أسباب أهمها:

1 –مدح التوحيدي لابن العميد عدو الصاحب، حتى صار الناس يعذلونه على ذلك قائلين **"جنيت على نفسك حين ذ كرت عدوه عنده بخير، و أثنيت عليه وجعلته سيد الناس "**[3] .

2 – إختلاف نفسية الرجلين : كان التوحيدي شديد الحسد و البغض لذوي الجاه والنعمة مجبولا على الغرام بثلب الكرام حتى عرف بهذه الخصلة الذميمة وشهر بها ؛ أما ابن عباد فكان شديد الحسد لمن أحسن القول و أجاد اللفظ ، وكان التوحيدي بحكم صناعته حريصا على إظهار تفوقه وتمكنه من أساليب البيان فكان الصدام مع الصاحب أمرا محتوما.

3 – مهنة الوراقة و هي التي يدعوها التوحيدي حرفة الشؤم وبسببها رحل إلى الري تاركا بغداد هربا من مهنة فيها ذهاب العمر والبصر.

---

[1] _ ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،ج15، ص35

[2] – إبراهيم الكيلاني ،أبو حيان التوحيدي ص24

[3] _ المصدر السابق ،ج15 ،ص 43

4 -تباين الثقافتين : كان التوحيدي يتفلسف على طريقة المعتزلة ميالا إلى الجدل و الأبحاث العقلية بخلاف الصاحب الذي كان " **يحب العلوم الشرعية ويبغض الفلسفة وما يشابهها من علوم الكلام والآراء البدعية.** ولا ريب أن اختلاف النزعتين كان يؤجج العداوة بين الرجلين ويجعل سبيلا إلى توسيع شقة الخلاف و الحقد والكراهية.[1]

د.إتصاله بابن العارض:

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان المعروف بابن العارض وزير صمصام الدولة البويهي تولى الوزارة سنة 373هـ وقتل سنة 375هـ بسب مكيدة من خصمه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف .

سامره أبو حيان التوحيدي في كتاب الإمتاع و المؤانسة وقد رجح أحمد أمين أن الوزير ابن العارض الذي سامره التوحيدي " **هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من كتب التاريخ أمثال : (تجارب والأمم) و ذيله (وابن الأثير) و لم يلقبه أحد منهم (بالعارض) ، وكلمة (العارض) كما في كتاب (النساب للسمعاني)معناه: من يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، و يوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا أحتيج إلى ذلك**"[2]

و يضيف أحمد أمين أن الوزير ابن العارض لقب بهذا اللقب إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن يتولى الوزارة، أو كان هذا لقبا لأسرته[3] .

---

[1] ـ إبراهيم الكيلاني ،أبو حيان التوحيدي ص ص 23، 24

[2] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، مقدمة احمد أمين ص ه

[3] ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

و أخيرا ابتسم الحظ لأبي حيان في علاقته بالوزراء، الوزير ابن العارض و ندمائه كأبي الوفاء المهندس، وقد كان أبو الوفاء من كبار علماء زمانه ، أسدى لصديقه أبي حيان جميلا بأن جعله في جملة خدم البيمارستان ، ثم وصله بالوزير ابن العارض ، و كان ابن العارض كريما محبا للأدب شغوفا بالعلم أحاط نفسه بجماعة من الأدباء والمفكرين .

وجرت للتوحيدي مع ابن العارض أحاديث أدبية و فلسفية وعلمية ألف منها مادة كتابه المشهور الإمتاع و المؤانسة، وقد أهداه إلى صديقه أبو الوفاء اعترافا بفضله و جميل صنيعه.

لم ينعم التوحيدي طويلا بحياته عند ابن العارض لأن سوء الحظ مازال يلاحقه حتى النهاية، فقد بقي ابن سعدان في الوزارة مدة قصيرة إذ ظهر له خصم لدود و هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الذي ظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به ، حتى قبض عليه وأصحابه وأودع السجن ، ثم أدخل في روع صمصام الدولة أن ابن سعدان يؤلب الثوار عليه ، فأمر بقتله و التنكيل بأعوانه وكان ذلك في نهاية 375هـ .

و الظاهر أن أبا حيان خشي على نفسه لأنه كان من رجالات ابن سعدان ، فآثر الاختفاء عن أعين رجال ابن يوسف وهرب إلى شيراز ، حيث راح يتردد على المتصوفة ويعيش معهم في فقر مدقع.

4.بيئته الثقافية:

عاش التوحيدي في القرن الرابع الهجري وقد اتسمت هذه الفترة بانحطاط سياسي، وازدهار ثقافي وعلمي كبير ،وفي ظل هذا الضعف السياسي عكف الأمراء على تشجيع العلماء و العطف عليهم فنبغ الكثير من الأدباء و الفلاسفة والفقهاء و المحدثين و أصحاب المذاهب " **و أصبحت مدن كثيرة في العراق و فارس مراكز للحركات**

العلمية كبغداد و البصرة و الكوفة في العراق، والري و أصفهان وشيراز وسيراف في فارس"[1]

و بالرغم من تفكك عرى الخلافة وتجزئها إلى دول شتى ، فإن النشاط العلمي ظل على ازدهاره إذ شارك عاصمة الخلافة العباسية عدد من الحواضر التي كانت تتنافس في تنشيط العلم والأدب على العلماء و الأدباء [2] .

ومما ساعد على تغلغل الثقافة العربية في مجتمع بغداد تحول المساجد إلى أماكن لطلب العلم، ومن أهم ما عمل على إشعال الجذوة العلمية و إمدادها بوقود لا ينفد ، مناظرات العلماء في المساجد و قصور الخلفاء و الوزراء في الكلام و الفقه والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الخلاف والجدل .

بالاضافة إلى وجود مكتبات عامة حوت الكثير من المصنفات ، مع كثرة الوراقين ودكاكين التجار يقصدها الشباب و العلماء لا لشراء المؤلفات فحسب ، بل ليطالعوا وينهلوا من مصنفاتها ، وكانوا يكترونها لذلك ويبيتون فيها وينسخون ما شاءوا من الأذكار و الرسائل[3].

و من المؤكد أن أبا حيان قد زار المكتبات العامة مرارا و اقتنى من معارفها بحيث كانت رافدا مهما من روافد ثقافته الموسوعية ، كما كان لحرفة الوراقة التي امتهنها دور كبير في اتساع ثقافته بسبب اطلاعه على ثقافات الأمم المختلفة.

---

[1] –ابراهيم الكيلاني،أبو حيان التوحيدي، ص9

[2] – أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ص 188

[3] – شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ،ط8 دار المعارف ص 118

5.مهنة التوحيدي:

عاش التوحيدي مدة طويلة منعزلا ، عانى خلالها آلام البؤس و الحرمان إلا أنه تميز بسعة علمه وثقافته ، حتى إننا لا نكاد نجد له نظيرا من مفكري عصره وقد وصفه ياقوت بأنه " **شيخ في الصوفية ، وفيلسوف الفلاسفة ، ومحقق أهل الكلام ومتكلم المحققين، فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة و فصاحة ومكنة كثيرالتحصيل للعلوم ، في كل فن حفظه واسع الدراية والرواية**" [1]، و لم تشفع له ثقافته و علمه الواسع في إيجاد مهنة تقيه ذل السؤال فلم يجد إلا حرفة الوراقة يسترزق منها، والظاهر أن الكثير من الأدباء و الفلاسفة في القرن الرابع الهجري وجدوا أنفسهم مضطرين إلى ممارسة هذه المهنة طلبا للرزق ، فنجد أبا سعيد السيرافي ، و ابن النديم ، ويحي بن عدي كانوا يشتغلون بتصحيح الكتب ونسخها ،إلا أن أبا حيان كان يشتغل هذه الحرفة على مضض وكان يأمل دوما في الحصول على مركز اجتماعي يناسب مستواه العلمي ونجده يشتكي قلة الحظ بسبب حرفة الشؤم هذه فيقول " **استولى علي الحرف، وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا استرزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف و التحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ**"[2].

كان التوحيدي دائم السخط على هذه المهنة التي كان يرى فيها مهنة الشؤم التي فيها ضياع العمر لقلة مردودها ، وقد دفع به الفقر إلى التقرب من أصحاب الجاه والسلطان رغبة منه في الخروج من ضائقته المالية ونيل الحظوة لدى الوزراء ، فاتصل بابن العميد

[1] -ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص 5، 6

[2] _ المصدر نفسه، ص 13

الصاحب بن عباد من وزراء آل بويه في الشرق إلا أنه لم ينل ما كان يصبو إليه ووجد و نفسه يمارس حرفة الشؤم من جديد ، يقول متحصرا " **قصدت ابن عباد بأمل فسيح وصدر رحيب فقدم إلي رسائله في ثلاثين مجلدة ، فقلت نسخ مثله يأتي على العمر والبصر**"[1].

ضاق صدر أبي حيان من معاملة الصاحب ابن عباد ففارق بابه سنة سبعين و ثلاثمائة راجعا إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة و لم ينل منه مدة ثلاث سنين درهما واحدا وبعد هذا وجد من يلومه على مفارقته للصاحب بن عباد فرد قائلا "... **وما ذنبي يا قوم إذا لم استطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب ؟ حتى أعذره في لومي على الامتناع على أينسخ إنسان هذا القدر**"[2].

رحل التوحيدي عن الصاحب بعد أن خاف على بصره من نسخ تلك الرسائل الطوال ، وما كان منه إلا أن ألف كتاب " **مثالب الوزيرين**" تحدث فيه عن ابن عباد وعن أخلاقه و عيوبه وما لاقاه من سوء المعاملة طوال السنوات الطوال التي قضاها في قصره يقول أبو حيان " **وما ذنبي أكرمك الله إذا سألت عنه مشايخ الوقت و أعلام العصر فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان على أني قد سترت شيئا كثيرا من مخازيه إما هربا من الإطالة ، أو صيانة للقلم عن رسم الفواحش و بث الفضائح وذكرها يسمج مسموعه، ويكره التحدث به، هذا سوى ما فإني من حديثه فإني فارقته سنة سبعين وثلاثمائة**"[3].

---

[1] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص 32

[2] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج 1ص33

[3] _ المصدر نفسه ، ج1، ص 5

وإذا كان التوحيدي يرى في مهنة الوراقة حرفة الشؤم التي نغصت عليه مزاجه و عكرت صفو حياته، إلا أنها كانت مصدرا هاما من مصادر ثقافته، كما أنها كانت وسيلة للمشاركة في الناظرات التي كانت تقام خلال القرن الرابع الهجري.

لقد ساهمت هذه المهنة في تكوين شخصية أبي حيان فأصبح ذا فكر متحرر و عقل متفتح على جميع المذاهب بغض النظر إذا كانت موافقة أو مخالفة لآرائه مما ساعد على تنمية موهبة الجمع التي تميز بها حيث حوت مؤلفاته على معظم مما ساعد على تنمية موهبة الجمع التي تميز بها حيث حوت مؤلفاته على معظم معارف عصره من علم المنطق و النحو والفلسفة.....إلخ.

6.أساتذتـــــه:

1.6. أبو سليمان السجستاني:

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بهرام السجستاني فيلسوف و منطقي ولغوي وصاحب أفكار عميقة في الأدب والنثر ، وصفه أبو حيان بقوله " **أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرا و أصفاهم فكرا و أظفرهم بالدرر ، وأوقفهم على الغرر، مع تقطع في العبارة ، ولكنة ناشئة من العجمة ، وقلة نظر في الكتب وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص وجرأة على تفسير الرمز ، وبخل بما عنده من هذا الكتر**" [1]

كان منزله مكانا لعرض الندوات الثقافية و الحلقات الفكرية، وقد شهد أبو حيان هذه الحلقات وسجل معظم ما يدور فيها واشترك مع غيره من طالبي المعرفة في مناقشة أستاذهم ، وقد كان يقصد طلاب العلم من كل أنحاء الدنيا ، قال عنه أبو حيان " **غزير البحر واسع الصدر ، لا يغلق عليه في الأمور الروحانية و الأنباء الإلهية و الأسرار**

[1] - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص33

الغيبية ، وهو طويل الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتي مزاجا حسن الاعتدال و خاطرا بعيد المنال ولسانا فسيح المجال.." [1]

وقد استفاد أبو حيان كثيرا من ملازمته لأبي سليمان حتى أنه ألف كتاب المقابسات الذي طوى أحاديث فلسفية ومناقشات جدل لأبي سليمان وتلاميذه.

2.6. أبو زكريا يحي بن عدي :

هو أستاذ أبو سليمان توفي سنة 364 هـــ انتهت إليه" **رياسة أهل المنطق في زمانه** " [2] ، كان كثير النسخ للكتب ميالا للجدل يعتمد على المنطق في إثبات الحقائق و العقائد ، قام بترجمة كتب أرسطو من السريالية إلى العربية إلى بالإضافة إلى تلخيص مؤلفات أستاذه أبي نصر الفرابي والتعليق عليها، وألف مصنفات عديدة في كثير من العلوم والفنون وقد وصفه أبو حيان " **أما يحي بن عدي فإنه كان شيخا لين العريكة ، فزوقة ، (أي شديد الفزع) مشوه الترجمة ،رديء العبارة ،لكنه كان متأنيا في تخريج المسائل المختلفة وقد برع في مجلسه أكثر من الجماعة، ولم يكن يلوذ بالإلهيات بل كان ينبهر فيها ، ويضل في بساطتها ، ويستعجم عليه ما حل فضلا عما دق منها وكان مبارك المجلس** "[3] .

وقد كانت استفادة أبي حيان من أستاذه أبي سليمان أكثر من استفادته من يحي بن عدي .

[1] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة،ج2، ص 175

[2] –زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ، ص 24

3– المصدر السابق،ج1، ص37

3.6. أبو سعيد السيرافي:

كان من كبار النحاة المتكلمين المعتزلة في القرن 4هـ، أخد عنه أبو حيان النحو والكلام وغيرها من العلوم ن وصفه التوحيدي فقال " **شيخ الشيوخ، إمام الأئمة، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي و القرآن والفرائض و الحديث والكلام و الحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ، فما وجد له خطأ ن ولا عثر منه على زلة ، وقضى ببغداد و شرح كتاب سيبويه في ثلاث آلاف ورقة بخطه في السليماني ، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى إتمامه إنسان هذا مع الثقة في الديانة و الأمانة في الرواية ، صام أربعين سنة و أكثر الدهر كله**" [1]

وقد فاضل التوحيدي بين أبي سعيد السيرافي و متي بن يونس القنائي فقال في الليلة الثامنة من الإمتاع والمؤانسة إن" **أبا سعيد كان أجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وأدخل في كل باب ، واخرج من كل طريق و ألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى في الحديث ، وأقضى في الأحكام ،وافقه في الفتوى ،و أحضر بركة على المختلفة و أظهر أثرا في المقتبسة**"[2] .

أخد أبو حيان عن إستاده علوم النحو و الشريعة و الكلام و الفقه ، بالإضافة إلى دلك فقد اكتسب منه صفات التقشف والتوكل والتصوف.

[1] – ياقوت الحموي معجم الأدباء ج8، ص 150

[2] – أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 129

4.6. علي بن عيسى الرماني:

تتلمذ أبو حيان على يدي علي بن عيسى الرماني وتخرج على يديه في علم الكلام كما أخد عنه الكثير من الدروس النحوية والمنطقية، و لم يكن علي بن عيسى مجرد عالم نحو، وإنما كان أحد مشاهير الأئمة في مختلف العلوم بالإضافة إلى كونه متكلما على طريقة أهل العدل والتوحيد ، وقد أعرب التوحيدي عن إعجابه وتقديره لأستاذه منه ببعض أفضاله عليه ، يقول أبو حيان"..... **وأما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام و العروض والمنطق، و عيب به إلا أنه لم يسلك طريقا واضح المنطق بل أفرد صناعة و أظهر براعة وقد عمل في القرآن كتابا نفيسا ، هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين"** [1] .

5.6. أبو حامد أحمد بن بشر المروروديت 362 هـ):

تلقى أبو حيان أصول الفقه الشافعي عن أستاذه أبو حامد المروروديكما أخد عنه الكثير من المعارف في مختلف أنواع الفنون و الآداب قال عنه أبو حيان أنه بشأن الشريعة أعلم و لأعاجيبها أحفظ ، وفيما أشكل منها أفقه وقد كان شديد الإعجاب بسعة اطلاعه وتبحره في أصول الشريعة .

و يضيف أبو حيان قائلا " **كان القاضي أبو حامد شديد الإزورار عن الكلام والثقة في أهله، و إنما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل لأنه أنبل من رأيته في عمري، وكان بحرا يتدفق حفظا للسير، وقياما بالأخبار، واستنباطا للمعاني، وثباتا على الجدل وصبرا**

[1] - أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص98

في الخصام، فكان يزعم أن السير بحر الفتيا وخزانة القضاء ، وعلى قدر اطلاع الفقيه عليها يكون استنباطه "[1].

وقد كان أبو حيان كثير الملازمة لأستاذه ينقل عنه و يروي أخباره وينسب إليه الكثير من الآراء القيمة في الأخلاق و أصول المعاملات وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول أن رواية أن السقيفة التي نسبها أبو حيان إلى أبي حامد كانت من تأليفه هو.

7.مؤلفاتـــــه:

عمر التوحيدي طويلا وقضى جل حياته محبا للبحث و الجدل حريصا على النقل و الرواية ، فجاء إنتاجه غزيرا وتنوعت موضوعاته بين الفلسفة و الأدب بل قد امتدت أيضا إلى الكلام والفقه و الشريعة و التصوف و النحو واللغة.

ولكن حادثه إحراقه لكتبه في أواخر أيامه قد حالت دون وصول الكثير من مصنفاته ، وقد أورد ياقوت في معجمه ثبتا بأسماء بعض كتب التوحيدي فنص على 17 كتابا: **رسالة الصديق و الصداقة ، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي ، كتاب الإمتاع و المؤانسة ، كتاب الإشارات الإلهية ، كتاب الزلفة، كتاب المقابسة، كتاب العارفين، كتاب تقريض الجاحظ ، كتاب دم الوزيرين ، كتاب الحج العقلي إدا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي ، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة ، كتاب الرسالة البغدادية ، كتاب الرسالة البغدادية ، كتاب الرسالة الصوفية ، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان ، كتاب البصائر ، كتاب المحاضرات و المناظرات.**[2]

[1] -زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ،ص33

[2] – ياقوت الحموي، معجم الأدباءج15، ص 15

إلى جانب كتب أخرى لم يذكرها ياقوت في حين أشار إليها التوحيدي نفسه في ثنايا كتبه مثل كتاب النوادر ، كتاب الكلام في الكلام ، بالإضافة إلى كتب أخرى نشرت منها الهوامل والشوامل ، رسالة في العلوم ، كتاب رسالة في علم الكتابة، رسالة الإمامة.

وقد تنوعت موضوعات التوحيدي بين أدب وفلسفة وجدل وقد عمد البعض إلى تصنيف هده المؤلفات بحسب موضوعاتها في حين رأى البعض استبعاد مثل هذا التصنيف لأنه يرى أن كتب التوحيدي تضمنت مواضيع في الفلسفة والفكر و الأدب والفن وقد يكون من الإجحاف وضع تصنيف لها.

1.7. الصداقة والصديق:

هو أول كتاب نشر من كتب أبي حيان التوحيدي سنة 1301هـ، جمع فيه معظم ما كتب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا لا عند العرب في الجاهلية والإسلام فحسب بل وعند اليونان و الفرس وغيرهم من شعوب العجم أيضا وقد كتب التوحيدي هذا الكتاب في مرحلة متأخرة من حياته سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة ، ويذكر أن سبب كتابة رسالة الصداقة والصديق أنه ذكر شيئا منها لزيد بن رفاعة أبي الخير فنقله إلى ابن سعدان ، فقال له ابن سعدان " **دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ، فإن حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب فجمعت ما في هذه الرسالة ، وشغل (ابن سعدان) عن رد القول فيها ، و أبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان ، فلما مر على ذلك بضع سنين عثرت على المسودة و بيضتها** " [1].

[1] -زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص 89

أما رسالة العلوم فهي عبارة عن بحث صغير حوالي تسع صفحات ألفه التوحيدي للرد على القائلين بأنه " **ليس للمنطق مدخل في الفقه لا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير في الأحكام**"[1].

2.7. كتاب المقابسات[2] :

طبع بمدينة بمباي طبعتين حجرتين سنة 1305هـ و 1306هـ على يد ميرزا محمد شيرازي ، كما توجد نسخة خطية من هذا الكتاب بجامعة لندن .

و في المكتبة الخالدية بالقدس مخطوطة كاملة للمقابسات يرجع أنها من القرن السادس الهجري كما توجد قطعة نفيسة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق يرجح أنها من عصر المؤلف.

تولى حسن السندوبي تحقيق الكتاب ونشره بمصر سنة 1929، ويحتوي الكتاب على 106 مقابسة (محاورة بين العلماء) متفاوتة من حيث الطول وهي عبارة عن مجموعة محاضرات سريعة متقطعة تدور بين مجموعة من العلماء تجتمع غالبا حول أبي سليمان المنطقي وكانت هذه المجالس تضم جماعات من مختلف الأجناس والمشارب والعقائد والملل و النحل من فلاسفة وأطباء ، ورياضيين ،فلكيين ، ومؤرخين وشعراء و أدباء و أرباب الجدل و كان غرض التوحيدي من هذه المقابسات تصنيف أشياء من الفلسفة، هذه الأشياء تضم موضوعات فلسفية كقضايا النفس والعقل و الزمان والمكان و العالمين العلوي والسفلي ، والخلفية و الميعاد والمادة والجوهر،وعلاقة النحو والمنطق ومواضيع خلقية كتهريب النفس ، و الفضيلة والرذيلة ، والصداقة والصديق ومواضيع أدبية

[1] ـ زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي ، ص 93

[2] ـ أبو حيان التوحيدي،المقابسات ، حققه وقدمه محمد توفيق حسن ط2، دار الآداب بيروت ـ بغداد 1989

كالمقارنة بين الشعر والنثر ...إلخ من المواضيع المختلفة[1].

وقد أورد التوحيدي في كتابه هذا آراء نسبها إلى أستاذه أبي سليمان المنطقي ، وإلى مفكرين آخرين أمثال أبوزكريا الصيمري نو الخوارزمي ويحي بن عدي وغيرهم وقد رأى البعض أن التوحيدي قد صاغ هده الآراء بأسلوبه الخاص وربما قد أضاف إليها بعض آراءه الخاصة[2] .

وقد رأى بعض المستشرقين منهم ما يرهوف ، أنه ليس لهده المحاورات قيمة كبيرة ولكن المهم فيها هو الوسط الفني الذي يدخلنا أبو حيان فيه وقد ذهب زكريا إبراهيم في تعقيبه على هذا الرأي إلى القول أن صياغة هده المحاورات في قالب **أدبي " لا تنقص من قيمتها العلمية، بل هي تدلنا على أن التوحيدي كان واحد من أولئك الأدباء الفلاسفة أو الفلاسفة الأدباء الدين حاولوا في القرن الرابع الهجري أن يحيلوا الفلسفة إلى ثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس**".[3]

و إذا كانت آراء التوحيدي قد اختلطت ببعض آراء فلاسفة آخرين كالسجستاني فلعل هدا ما يجعل للكتاب قيمة كبيرة .

3.7.الإمتاع والمؤانسة:

وهو أهم كتب التوحيدي ، ظهر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء صدرت على التوالي سنة 1939، 1942،1944 بالقاهرة وقد تولى تحقيقه الأستادان أحمد أمين و أحمد الزين .

---

[1] – إبراهيم الكيلاني،أبو حيان التوحيدي،ص 45

[2] _ – المرجع نفسه،ص 95

[3] –زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي ص94

ألفه التوحيدي بين سنتي 373هـ و 375هـ بطلب من صديقه أبي الوفاء المهندس يقول احمد أمين في مقدمة الكتاب " **و هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر وغاص كل لجة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيا ، و توسطه محدثا ، وختمه سائلا ملحفا**"[1].

يتضمن الكتاب أحاديث شتى سامر بها التوحيدي الوزير ابن العارض، وقد قسم التوحيدي كتبه إلى أربعين ليلة على غرار ألف ليلة وليلة مع فارق في المضمون الإمتاع عقلية واقعية ، وموضوعات ألف ليلة وليلة قصصية خيالية" **فإن كان ألف ليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية في ملاهيها وفتنها وعشقها ن فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية، كيف يبحثون وفيم يفكرون ، وكلاهما في شكل قصصي مقسم إلى ليال ، و إن كان خط الخيال في الإمتاع والمؤانسة الأقل من حظه في ألف ليلة وليلة**"[2].

كان ابن العارض في كل ليلة يقترح على التوحيدي بعض المسائل الأدبية واللغوية والفلسفية أو العلمية ، وكان على التوحيدي ارتجال الجواب و في نهاية الجواب وفي نهاية كل جلسة يطلب ابن العارض من أبي حيان ملحة الوداع وهي عادة أبيات من الشعر أو حكمة مأثورة أو عظة خلقية.

وموضوعات الكتاب متنوعة لا تخضع لترتيب و لا تبويب و إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث كما يقول أحمد أمين ونجد في الكتاب مسائل من كل

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ،ص م

[2] ـ المصدر نفسه ،ص ص

علم وفن، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون و أخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير، وحديث وغناء ولغة وسياسة و تحليل ، وشخصيات لفلاسفة العصر و أدبائه و علمائه وتصوير للعادات و أحاديث المجالس ، وغير دلك.

كما احتوى كتاب الإمتاع وثيقتين نفيستين انفرد التوحيدي في إيرادهما "**الأولى وصف المناظر التي جرت في بغداد عام 326هـ بحضور الوزير ابن الفرات بين العالم النحوي أبي سعيد السيرافي ومتي بن يونس المنطقي عن المنطق اليوناني و النحو العربي و الثانية الفصل المتعلق بإخوان الصفاء و هو الذي ألقى ضوءا على هده الجمعة السردية .... هذا وكتاب الإمتاع والمؤانسة مصدر ثمين لدراسة أدب التوحيدي من جهة ، والحياة الفكرية و الاجتماعية زمن بني بويه من جهة أخرى**" [1].

كان التوحيدي يرسل هذه الأحاديث إلى صديقه أبي الوفاء بعد أن يزبرج كثيرا منها بناصع اللفظ ، ويشرح الغامض ، و يصل المحذوف ويتم المنقوص[2].

على أن أحمد أمين كان يشك في أمانة التوحيدي، معتقدا أنه قد تزيد في بعض الأحاديث واخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير فأوصى أبا الوفاء بكتمانها تفاديا من اطلاع الوزير على هذه الزيادات.

أما عن أسلوب الكتاب، فهو أسلوب التوحيدي المعهود ، جزالة وسهولة في العبارة مع إطناب و إطالة في تصوير الفكرة و إكثار من الازدواج لتنغيم العبارة ، واهتمام بالغموض لسبر غور الموضوعات.....

[1] _ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 39

[2] -المصدر السابق، ج2، ص126

4.7.الإشارات الإلهية و الأنفاس الروحانية: [1]

ألفه التوحيدي سنة 471هـ في الدور الأخير من حياته بعد أن تجاوز السبعين من عمره ، وهدأت ثورة نفسه الجامحة ، وجنح إلى حياة روحية صرفة هدفها الاتجاه نحو الله منبع الخير والحق والجمال.

يحتوي الكتاب على 54 رسالة في المواعظ و الأدعية الصوفية ، وقد ضمنه التوحيدي خلاصة تجاربه الروحية.

يقول أبو حيان" **أنا نطقت بهده الألغاز بعد سبعين سنة وقد تحطمت قناتي وتكمشت شواتي(جلدة راسي) وتفللت صفاتي، واضمحلت صفاتي وبليت لحمتي وسداتي وفقدت شهواتي ولذاتي ، ومنيت أحبتي و لذاتي.."**[2]

وقد تولى تحقيق الجزء الأول من هدا الكتاب عبد الرحمن بدوي سنة 1950هـ ، وبعد هذا الكتاب الأوحد الذي تبقى من بين كتب عديدة كتبها التوحيدي في التصوف.

5.7.الهوامل والشوامل:[3]

نشره الأستاذان أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر في القاهرة سنة 1951م و هو عبارة عن كتابين لمؤلفين كبيرين ، أسئلة من أبي حيان التوحيدي سماها " الهوامل" و أجوبة من مسكويه سماها " الشوامل " ، ومعنى الهوامل الإبل السائمة يهملها صاحبها و يتركها ترعى ، ولقد استعارها التوحيدي لأسئلته المبعثرة التي تنتظر الجواب و "الشوامل"

[1] _الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضي ،ط2، دار القاضي، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1402_ 1982

[2] - زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ، ص 101

[3] _ أبو حيان التوحيدي ، الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد أمين و السيد صقر لجنة التأليف والترجمة 1951

الحيوانات التي تضبط الإبل الهوامل فتجمعها وقد استعملها مسكويه في الإجابات التي أجاب بها فضبطت هوامل أبي حيان[1].

وقد أشار التوحيدي إلى هذا الكتاب في المقايسة السابعة من كتاب المقابسات وهدا ما يدل أن الهوامل والشوامل أقدم عهدا من المقابسات .

لقد كان التوحيدي " **شخصية فلسفية مطلعة تستخلص الأسئلة من كل ما يقع أمامها سواء كانت المسائل خلقية أو اجتماعية أو لغوية أو اقتصادية أو نفسية**"[2]. وقد نشر التوحيدي في العام نفسه (1951) ثلاث رسائل:

6.7.رسالة السقيفة:

تمثل جانب النضال بين السنة والشيعة في عصر بني بويه وقد نسبها إلى القاضي أبو حامد المرور ودي ويرجع البعض أنها من تأليف أبو حيان وذلك لسببين:

الأول: تأثره بما وقع من حوادث دامية في زمنه بين أهل السنة و الروافض.

ثانيهما: عداوته الشديدة لكل من ابن العميد و الصاحب بن عباد و هما من أكابر الشيعة في زمانهما.

7.7.رسالة في علم الكتابة:

وهي عبارة عن بحث صغير في أنواع الخطوط العربية و أنواع الأقلام، ومعاني الخط...وهي تكشف عن سعة اطلاع و معرفة بالخطوط و أنواعها.

8.7.رسالة الحياة:

شرح فيها التوحيدي ثمانية أصناف من الحياة ، حياة الحس والحركة ، حياة العلم

[1] – زكريا ابراهيم ، أبو حيان التوحيدي ص 104

[2] – المرجع نفسه ، ص 105

و المعرفة ، حياة العمل الصالح ، حياة الديانة و السكينة ، حياة الخلاق المهذبة ،حياة مستجمعة من جملة الحيوات السابقة ، حياة الظن والتوهم ، حياة العاقبة التي تنال بعد الموت أو المفارقة .

وهناك نوعان آخران هما حياة الملائكة، وحياة الله عز وجل، و يسرد أبو حيان بعض أقاويل فلاسفة اليونان في الحياة و الموت.

9.7.البصائر و الذخائر:

حققه ونشره سنة 1953 الأستاذان أحمد أمين و السيد أحمد صقر، كما قام بتحقيقه ابراهيم الكيلاني وصدر في ثلاثة مجلدات ضخمة بدمشق مع مقدمة مطولة عن أدب التوحيدي و أسلوبه في التأليف و الإنشاد وهو كتاب ضخم في عشرة أجزاء ألفه التوحيدي بين عامي 350هـ،365 هـ ومثل ثمرة لجهد طويل دام 15عام، ينطوي على أفانين شتى في المعرفة و فلسفة وتصوف و أدب وفقه وشعر ونثر و تاريخ و فكاهة....الخ

وقد حرص التوحيدي في مقدمة كتابه على ذكر المصادر التي استقى منها معلوماته ، ويكشف لنا هدا الكتاب عن ثقافة أبي حيان الواسعة ، واطلاعه الهائل و أمانته العلمية في النقل و التحقيق كما يقدم لنا محصلة عن مطالعة التوحيدي وتجاربه ، وعن اتجاه نواحي الثقافة عنده وفي المجالس التي كان يرأسها أستاذه و أرباب المعرفة في زمنه أمثال أبي حامد المروروزي و السيرافي و الزهري وغيرهم.

10.7.مثالب الوزيرين:

اضطلع بنشره ابراهيم الكيلاني بدمشق سنة 1961 وهي رسالة في أربعمائة صفحة وكان التوحيدي قد وصفها في كتاب الإمتاع و المؤانسة في الليلة الرابعة مخاطبا ابن

سعدان " **على أني عملت رسالة في أخلاق الصاحب و أخلاق ابن العميد ، وهي تجزع في دست كاغط فرعوني** "[1].

وقد أضاف إليها التوحيدي نصوصا جديدة حتى وصلت إلى الحجم الضخم الذي هي عليه الآن ، وصور من خلال هجاءه للوزيرين و الإساءة إليهما جوانب هامة من الحياة الفكرية و الأدبية و الاجتماعية خلال القرن 4هـ بالإضافة إلى أحاديث و تعليقات وطرا ئف أدبية و فلسفية ولغوية و شعرية تدل على اتساع ثقافة التوحيدي.

و للتوحيدي كتب أخرى بعضها مخطوط وبعضها مفقود منها.

11.7.الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي:

وقد أشار ياقوت الحموي لهذا الكتاب في معجم الأدباء كما ذكره الخوانساري في " روضة الجنات" وقال عنه " **أنه نظير ما كتبه حسين بن منصور (الحلاج) في كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المخدولة ، فصار عمدة السبب في قتله** " [2] .والظاهر هو أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب **الحجيج** الذي أشار إليه محمد كرد علي وقال أن هناك نسخة منه محفوظة في دار الكتب بليننجراد .

ويرى مرجليوث أن عنوان هدا الكتاب يوحي بالزندقة التي قتل من أجلها الحلاج [3] ، ولا يمكن الإدلاء برأي قاطع حول اتهام التوحيدي بالزندقة الذي الصق به ما لم يتم نشر رسالته المسماة " الحجيج".

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ج1ن ص 50

[2] –ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص49

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

بالإضافة إلى تصانيف أخرى ذكرها ياقوت الحموي منها المحاضرات و المناظرات ، كتاب الرسالة البغدادية ،كتاب الرسالة في أخبار الصوفية ، و كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان و كتاب تقريظ الجاحظ.[1]

8.حرق التوحيدي لكتبه:

للوهلة الأولي يتبادر إلى الذهن سؤال واحد، لماذا أحرق التوحيدي كتبه؟ لكن من يعرف شخصية كشخصيته لا يستغرب منه فعلا كهذا ، فالتوحيدي شخص اتسم بالتشاؤم و القنوط طوال حياته ، و لم يجن من سعيه المتواصل في الحياة إلا الإخفاق والسخرية و الصد القبيح ممن قصدهم و أحسن الظن بهم ، حتى ضاقت به الحياة وفقد الأمل في إصلاح حاله ، ولم يستطع كتم سخطه على الناس مما جعله في صراع دائم وشعور بالنقص والدونية.

و كان من نتائج هذا الصراع بين نفس التوحيدي المتشوقة إلى النعيم و حالة العجز و الحرمان ظهور هذا الطابع التشاؤمي الذي جعله شخصية منطوية تعاني اليأس و الضياع مما دفعه في آخر المطاف إلى حرق كتبه تعبيرا عن سخطه على الدنيا بأسرها، وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.

ولعل السؤال الآخر الذي تبادر إلى الذهن إذا كان التوحيدي قد أحرق كتبه فمن أين وصلت إلينا ؟ يقول السيوطي في هدا السياق " **لعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه، كتبت عنه في حياته وخرجت من قبل حرقها** "[2] .

[1] -ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج4 ص 289

[2] - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، المقدمة، ص د

أما أحمد أمين فرأى أن التوحيدي " **كان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها و تبلغ نحو العشرين ، إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات و الصداقة والصديق و رسالة في العلم و ما بقي منها مخطوطا ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف و التصحيف إلا حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها** "[1].

أقدم التوحيدي على حرق كتبه عام 400هـ و كان مقتنعا في قرارة نفسه أنه اتخذ القرار الصائب ، و لم اعلم القاضي أبو سهل بصنيعه كتب إليه رسالة يعدله على هذا الصنيع ، فرد عليه التوحيدي معتذرا و محاولا تبرير تصرفه .

أورد التوحيدي في رسالته التي وجهها إلى أبي سهل دوافعه إلى حرق كتبه و غسلها بالماء، ويقر بأنه أقدم على هده الفعلة بمحض إرادته بعد أن استخار الله كما قال أياما و ليالي فهداه إلى اتخاذ مثل هذا القرار .

إستهل التوحيدي رسالته باللوم والعتاب لصديقه الذي جافاه مدة من الزمن يقول " **حرسك الله أيها الشيخ من سوء مودتك ، و طول جفائك و أعادني من مكافئتك على ذلك ، وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به ، و إن أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، و أدام الله نعمته عندك و جعلني على الحالات كلها فداك** " [2] .

وقد كانت حادثة الحرق هذه سببا في عودة الود بينهما بعد أن انقطع من جهة أبي سهل، وكان بمثابة المفاجأة السارة لدى أبي حيان حيث إنه لم يكن يتوقعها أبدا حتى أنه شكر الله على هذه النعمة يقول " **وافاني كتابك غير محتسب و لا متوقع على ظمأ برح**

[1] ــ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، المقدمة، ص د

[2] -ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 16

بي إليه ، وشكرت الله على النعمة به علي ، وسألته المزيد من أمثاله ، الذي وصفت فبه بعد ذكر السوق إلي ، و الصبابة نحوي ما نال قلبك و التهب في صدرك من الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار و غسلها بالماء"[1] .

و في الأخير يرجو التوحيدي من صديقه إلا يقطع حبل الود من جديد وأن يرسل إليه رده على خطابه هذا " **إن سرك جعلني الله فداك أن تواصلني بخبرك وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقيا يسر النفس، ويذكر حديثنا بالأمس**" [2].

و إذا رجعنا إلى الأسباب التي ذكرها التوحيدي لتبرير فعل الحرق فهي متعددة استهلها في بادئ الأمر بقوله تعالى " **كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**"[3]، وقوله تعالى" **كل من عليها فان** "[4]، فهو يرى أن كل شيء هالك إلا وجهه ولما كان التوحيدي متشائما بطبعه فقد استدل بهتين الآيتين الدالتين على الفناء ، في حين هناك آيات كثيرة تحث على العلم والعمل .

وقد أكد التوحيدي أنه أقدم على فعل الحرق بعد أن استخار الله أياما و ليالي حتى أوحى إليه في المنام ، إلا أن نية الحرق هذه كانت قد سبقت صلاة الاستخارة والتي أداها ليقنع نفسه ، ويستطيع إقناع غيره من بعد بشرعية فعل الحرق ، يقول " **استخرت الله عز وجل فيه أياما و ليالي ، حتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم ، و أجد فاتر النية ، و أحيا ميت الرأي وحث على تنفيد ما وقع من الروع و تريع في الخاطر ،**

[1] –ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ص 17

[2] – المصدر نفسه ، ص 25

[3] – سورة القصص ، الآية 88

[4] – سورة الرحمن الآية، 26

وأنا أجود عليك الآن بالحجة في دلك إن طالبت ، أو بالعذر إن استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني و تعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي "[1].

9.أسباب الحرق و دلالاته:

الحجة الأولى:

"إن العلم خالطك الله يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم، كان العلم كلا على العالم، و أنا أعوذ بالله من علم عاد كلا و أورث دلا، وصار في رقبة صاحبه غلا"[2]

كان التوحيدي يرى في علمه كلا و لم ينل منه إلا الذل وقد أفنى عمره في طلب العلم من أجل تحسين أحواله و العيش في مستوى يليق به غلا انه في نهاية المطاف لم ينل غير الدل و الهوان حتى آخر أيام حياته، فما كان منه إلا أن أحرق كتبه التي كانت سبب شقائه.

الحجة الثانية :

حوت كتب التوحيدي من أصناف العلم سره وعلانيته وما كان سرا لم يجد من يتحلى بحقيقته راغبا و ما كان علانية فلم يصب من يحرص عليه طالبا[3].

الحجة الثالثة:

ألف التوحيدي كتبه و جمعها للناس من أجل طلب المثالة منهم و لمد الجاه عندهم لكنه لم ينل شيئا مما كان يصبو إليه ، فهداه الله لحرق كتبه ففعل ذلك على كره منه لأنه كان

[1] – ياقوت الحموي،معجم الأدباء ،ص ص 17-18

[2] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

يرى أن فعل الحرق هدا سيكون حجة عليه لا له . وقد حاول التوحيدي تنبيهنا إلى عاقبة الطموح الزائف الذي لا يتخذ من العلم سوى مجرد مطية للجاه و الرياسة.

الحجة الرابعة:

كان شعور التوحيدي باليأس كبيرا نتيجة لفقدانه للولد النجيب و الصديق الحبيب و الصاحب القريب و التابع الأديب و الرئيس المنيب،فشق عليه أن يترك أعز ما يملك إلى أناس يتلاعبون به و يحاولون البحث عن عيوبه ويشمتون بسهوه وغلطه إذا تصفحوا كتبه يقول " **وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ ، ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة و المعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، و إلى التكفف الفاضح عند الخاصة و العامة ، و إلى بيع الدين و المروءة،و إلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق و إلى مالا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم**" [1].

الحجة الخامسة:

لقد كانت حياة التوحيدي مليئة بالتشاؤم و اليأس وقد بلغ شعوره باليأس ذروته عند بلوغه عشر التسعين ، و لم يعد له أمل في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة وحشر نفسه في زمرة من قال القائل فيهم:

نروح ونغدو كل يوم وليلة وعما قليل لا نروح ولا نغدو[2].

[1] – ياقوت الحموي معجم الأدباء ، ص ص 19-20

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها

الحجة السادسة:

إن لأبي حيان في إحراق هده الكتب أسوة بأئمة اقتدى بهم و أخد يهديهم أمثال أبو عمرو و أبي العلاء الذي دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر ، و داود الطائي الذي طرح كتبه في البحر و قال يناجيها " **نعم الدليل كتب، و الوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول** "[1].ويوسف بن أسباط حمل كتبه إلى غار فسد بابه[2]، و أبو سليمان الدراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار و هو يقول " **والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك**".[3] ولما عاتبه الناس على دلك قال " **دلنا العلم في الأول ثم كاد يدلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من أجل ما أردناه**"[4]. و سليمان الثوري مزق ألف **جزء وطيرها** في الريح وقال " **ليت يدي قطعت من ها هنا بل من ها هنا و لم أكتب حرفا**"[5]. أما أبو سعيد السيرافي فقال لولده محمد: " **تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل ، فإذا رأيتها تخونك فأجعلها طعمة للنار**" [6].

الحجة السابعة:

بعد كل هذه المعاناة من شظف العيش و آلم الحياة أصبح مرضه و شيخوخته سببا من أسباب حرقه لكتبه نجده يقول " **فقد كل البصر، وانعقد اللسان وجمد الخاطر و دهب البيان ،و ملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس.....على أني لو علمت في أبي**

[1] – ياقوت الحموي معجم الأدباء ، ص 21

[2] –المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] – المصدر نفسه ، ص 22

[4] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[5] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسه

[6] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

حال غلب علي ما فعلته، وعند أي مرض و على أية عسرة ، وفاقة لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته و احتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته"[1].

من هنا تتضح لنا الحالة النفسية السيئة التي كان يعيشها التوحيدي و التي جعلته يرى أن آمالها قد تبددت بعد أن اكتشف تفاهة الحياة الدنيا وهدا ما حدا به إلى إحراق كتبه.

إن لهذه الرسالة التي كتبها التوحيدي ردا على صديقه أبي جهل قيمة كبيرة في فهم نفسيته المثقلة بالهموم وخيبة الأمل، و الألم على مافات من العمر بعدما انكشفت له تفاهة الحياة و انهارت كل المطامع و الآمال فما كان منه غلا أن يستسلم لليأس و الوحدة " **و التحسر على فوت المأمول بعد المأمول ، يأكل إصبعه أسفا ويزدرد ريقه لهفا** " [2].

وقد حاول الباحثون و النقاد دراسة هده الوثيقة محاولين الغوص في شخصية التوحيدي و التركيز على نفسيته القلقة، متتبعين تفاصيل حياته، طفولته المعذبة و شبابه الذي نمت فيه موهبة بعيدا عن الأب والأم و الزوجة و الابن فنبغ نبوغا لم يضاهيه مثيل ، فأصبح العالم و الفقيه و الفيلسوف و المتكلم و الأديب و النحوي و المفكر، وانتهى به المطاف باللجوء إلى العزلة و الانكماش متألما من جهل معاصريه واستخفافهم به ، فاحرق كتبه ظنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته كما قال ياقوت الحموي.

لقد اعتبر الكثير من الباحثين شخصية التوحيدي شخصية تفتقد إلى التوازن النفسي لكونه عاجزا على التعايش و التعامل مع الناس.

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص 24، 25

[1]– أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ج1 ص8

أرجع إبراهيم الكيلاني هذا الاضطراب في شخصية التوحيدي إلى ذكائه الخارق فكان ذلك الصراع بين الذكاء والعمل " والمعروف أن الأذكياء و النبغاء هم في الغالب أبعد الناس عن الفوز في الحياة الكفاحية العملية ، و الاهتداء إلى سبل النجاح فيها و تحصيل أمور الدنيا ، لأن توسع الذكاء يضعف الإرادة ، و حياتنا العقلية كحياتنا العضوية مبنية على التكافؤ و التناسب في الملكات و المواهب و القوى الجسمية و الروحية، فكما أن في تقوية إحدى الجوارح إضعافا لغيرها ، فإن في توسيع الذكاء و إعمال القوى المفكرة تعطيلا للإرادة وخلقا للعجز و التردد" [1].

إن أكثر ما يؤلم التوحيدي وينغص عليه عيشه هو الفقر ، والفقر عنده " **فكرة رهيبة يضخمها خياله التحليلي فيزيدها رهبة و هولا ، فهي تنطوي على معاني الحرمان و الجهد الأليم الذي يتطلبه الحصول على العيش الهنيء المرموق**"[2].

وقد بلغ به الفقر أنه كان لا يظفر بقوت يومه فقد كان " **يأكل الكسيرة اليابسة و البقيلة الداوية ، ويلبس القميص المرقع ، و يتأدم بالخبز و الزيتون و ينفق أربعين درهما بالشهر**" [3].

لم تهب الحياة للتوحيدي شيئا من مباهجها و مسراتها ومع هدا فقد ظل شديد اللهفة و التعلق بها حتى آخر أيامه يقول " **وبعد فقد أصبحت في هامة اليوم أو الغد ،فإني في عشر التسعين ، وهل بعد الكبر و العجز أمل في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديد**"[4]

1- ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي، ص32

2- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج3، ص ص161، 162

3- المصدر نفسه ، ج1، ص13

[1] _ المصدر نفسه ،ج1 ،ص14

لقد سعى التوحيدي طوال حياته يبحث عن الرفاهية والعيش الكريم، فلم يتم له ما أراد و لم يستطع إرضاء أصحاب السلطان و يضحى بالمال والجاه فبقيت حسرة في نفسه حملها معه إلى اللحد.

لم يجن التوحيدي من سعيه المتواصل في الحياة إلا الإخفاق و الصد ممن قصدهم و أحسن الظن بهم حتى ضاقت به الحياة، وفقد الأمل في إصلاح حاله فلم يستطع أن يكتم سخطه على الناس ، و تمرده على الأوضاع السائدة ، وما كان منه إلا أن أحرق كتبه ظنا بها على من لا يعرف قيمتها.

و يرى زكريا إبراهيم أن التوحيدي كان يتمتع بشخصية غير متكاملة نفسيا مندفعة و متهورة ، عاجزة عن التميز بين ما ينبغي أن يقال و ما لا ينبغي أن يقال لأنه لم يكن يملك القدرة على الكف الإرادي وضبط النفس وربما كان سوء التفاهم الذي نشأ بينه وبين كل من ابن العميد و ابن عباد هو أنه لم يكن يحسن التصرف في حضرتهما بل كان يتعامل معهما كما لو كانا شخصين عاديين.

"ليس في وسعنا ــ وبطبيعة الحال ــ أن نعلل عجز أبي حيان التمييز بين المواقف المختلفة وعدم تمكنه من ضبط نفسه والتحكم في إرادته ، فإن جهلنا بنوع التربية التي تلقاها في صباه و أسلوب الحياة الذي درج عليه في طفولته ، يحول بيننا وبين تفسير مثل هذا الإنحراف ، ولكننا نميل إلى الظن بأن هناك عاملين أساسيين عملا على إختلاف تكامله النفسي ،أولهما فساد ترقبه الوجداني ونقص نضجه الإنفعالي من جهة أخرى"[1] .

[1] ــ زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي،ص80

لقد كان إندفاع التوحيدي وتذمره نتيجة للظروف التي مر بها ويظهر أن خصومه قد عرفوا فيه هذا الضعف فاستغلوه أحسن استغلال وهذا ما جعلهم ينجحون في استثارة حفيظة الوزراء والكبراء ضده.

عاش التوحيدي غريبا بين قومه يقول " **وقد قيل الغريب من جفاه الحبيب ، وأنا أقول الغريب من واصله الحبيب ، بل الغريب من تغافل عنه القريب ، بل الغريب من حاباه الشريب بل الغريب من نودي من قريب ، بل الغريب من هو في غربته قريب ، بل الغريب من ليس له نسيب..... الغريب من إن حضر كان غائبا ، و إن كان حاضرا ، الغريب من إذا رأيته لم تعرفه و إن لم تره لم تستعرفه**" [1].

ولما اشتد شعوره بالغربة والعزلة والوحدة، ما كان منه إلا انأحرق كتبه و أحرق معها كل ماضيه التعيس واتخذ الزهد و التصوف ملاذا نهائيا له.

وقد شبه واسيني الأعرج فعل الحرق في جوهره بالإنتحار ، عينه و الإستمرار في التدريجية الصوفية التي تقود إلى التلاشي فيما هو مطلق ، ورغبة محمومة في العودة إلى طفولة الأشياء الأولى لبدء رحلة أخرى مدفونة في عمق الإشارات ويرى أن "**الحرق و المحو أداة التوحيدي المتبقية ليثبت حريته و قدرته في مواجهة الاستبداد و الخوف و القدرة على التقاطع مع مستقبل غامض ، هزم الآخرين من حيث كان يريد تفادي ظلمهم ــ ابتغى المحو ، الموت ، إذ إن الحرق معناه حرق الذاكرة من إسم إسمه التوحيدي ، لكن عمق التراجيديا التي لا تقبل بمصير غير الذي تخطه جعلت التوحيدي يخرج من رماده كطائر الفينيق و يصل بالضرورة إلى عمق اللغة ، فالإنسان**

[1] ــ أبو حيان التوحيدي الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضي، ط2، دار القاضي دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1989،ص ص 81،82

الذي ضيع الأثر ويضيع محيطه هو الآن بصدد خسران ماذا يبقى له من غير اللغة؟...."[1].

إستخدم الباحث وليد منير في تحليل ظاهرة الإغتراب عند التوحيدي مصطلح "عدم تجانس المكانة " الذي يمثل إنعكاسا واضحا لسوء التقييم الاجتماعي فيقول " **نشأ مصطلح عدم تجانس المكانة في العلوم الإجتماعية ليعبر عن وضعية إجتماعية ، تتصف ببخس الواقع عليها ، وهو يعني فقدان التناسب بين كفاءة الشخصية والموقع من السلم الإجتماعي من ناحية، وبين التغيير الإجتماعي من ناحية أخرى "**[2].

يعكس هذا المصطلح معنى الإغتراب في التجربة الصوفية ، فهو أصلا لايرجع إلى ازدراء الذات لحاضر الوجود، بل يرجع إلى إزدراء حاضر الوجود للذات ونفيها وتهميشها ، وهو ماحدث للتوحيدي من تهميش ونفور الناس والمجتمع منه وهذا ما أنتج حالة اليأس واللاجدوى والإغتراب ، مما دفعه إلى إحراق كتبه لفقدانه المكانة و التقدير ، باعتباره مثقفا موسوعيا فامتنع من الزواج والإنجاب ، وحتى ذكاءه كان وبالا عليه حرم بسببه رغد العيش ولما اكتشف عدم قدرته على التأثير في الناس انصرف منحيا الناس من دائرة إهتمامه ،واختار التصوف و الإنطواء ليرد الإعتبار لنفسه.

تتجلى الصورة التي قدم بها النقاد التوحيدي فيما يلي:

-المظهر الذاتي : رجل حقير اللبسة ، فقير مقهور نكد الحظ.

-المظهر النفسي : شديد الطموح في نيل الحظوة والمال

[1] ـ واسيني الأعرج ، الكتابة تراجيديا التوحيدي ، نص الخيبة والنور ، مجلة فصول أبو حيان التوحيدي ص 333

[2] ـ وليد منير نزعة النفي عند أبي حيان التوحيدي عن البعد النفسي الإجتماعي في الرؤية الصوفية، مجلة فصول ،أبو حيان التوحيدي ،ج1ص80

يتميز بالضيق الشديد من المجتمع و من الآخر الذي نفر منه

مندفع متهور سليط اللسان في تعامله وفي نقده للناس و لذوي الجاه

-المظهر الإجتماعي : يفتقد التكيف و الذكاء الإجتماعي

-المظهر الثقافي : على درجة عالية من الذكاء ، يشهد له النقاد و المؤرخون و القدماء و المحدثون بثقافة موسوعية.

أجمع الباحثون و الدارسون على أن حياة التوحيدي كانت سلسلة من الإخفاقات ، إذ لم يظفر بالحب و الترحاب من قبل الوزراء و الملوك إلا ما جاء استثناء على الرغم من سعة ثقافته ، وقدرته العلمية و الأدبية ،إلا أن هذا لم يشفع له على الإطلاق بأن يحظى بما يجب أن يكون عليه العالم و المفكر و الأديب .

إن هذه الصورة البائسة هي التي هيمنت على تفكيره و حياته ، التي جعلته أكثرا تشاؤما و معاناة سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي.

الفصـــــل الثانـــــي

1. **الإمتاع و المؤانسة بين الشفاهية و الكتابة**
2. **مفهوم السرد التوحيدي**
3. **مكونات السرد التوحيدي**
   1.3. الخبر
   2.3. الحوار
   - السؤال
   - التعليق
   - الرواية
   - الإسناد
4. **مصادر الحديث لدى التوحيدي**
   - الذاكرة
   - الحافظة
   - المتصرفة
5. **خصائص المروي في الإمتاع والمؤانسة**
6. **الراوي**
7. **الفضاء**
8. **الزمن**

تختلف البنية السردية للنصوص العربية القديمة عن البنية السردية للنصوص المعاصرة وسنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على البنية السردية لنصوص الإمتاع والمؤانسة وذلك من خلال الوقوف على أهم العناصر المكونة لهذه البنية.

1.الإمتاع والمؤانسة بين الشفاهية والكتابة:

مر إنتاج الإمتاع والمؤانسة بمرحلتين أساسيتين ، مرحلة المشافهة ثم مرحلة الكتابة و هذا ما أدى إلو وجود إختلاف في عدد الليالي وحدوث إضطرابات على مستوى ترقيم الليالي في الكتاب.

هذا الإضطراب راجع إلى التغييرات التي تطرأ على الخطاب حين الإنتقال به من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة،يقول بول زيمثور" **عن إنتاج الخطاب بالكتابة من وجهة نظر لسانية يحتوي على مخاطرة فقدان الخبر الناتج عن عزل عوامل المقام ، وتحصل المخاطرة بعلامات خاصة بالكتابة**"[1].

إذا نظرنا إلى ليالي الإمتاع والمؤانسة على المستوى الكتابي نجد أن مجموع الليالي سبعة وثلاثين ليلة أما على المستوى الشفاهي الذي جسدته المسامرات التي جرت بين التوحيدي و الوزير نجد أربعين ليلة.

هذا الإختلاف راجع إلى المسافة الزمانية و المكانية التي تفصل بين الشفائي والكتابي ذلك أن المجلس " مقام خاص للتواصل يحضر فيه طرفا الكلام (المتكلم و السامع) لذلك يجري الكلام وفق شروط مناسبة أما الكتابة فشيء آخر ، وذلك لاختلاف المقام والآداة"[2].

[1] – وتيكي كميلة ،كتاب الإمتاع والمؤانسة بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة ، ص233

[2] – سعيد يقطين ، السرد العربي ، مفاهيم و تجليات ص 187

و قد أدرك التوحيدي هذا الإختلاف منذ الوهلة الأولى فنجده يخاطب أبا الوفاء المهندس قائلا " **إنما نثرت بالقلم مالاق به ، فأما الحديث الذي كان يجري بيني وبين الـــوزير فكان على قدر الوقت والحال و الاتساع يتبع القلم ما لا يتبع اللسان و الروية تتبع الخط ما لا تتبع العبارة...**"[1]

إن الإنتقال من الخطاب الشفوي إلى الخطاب المكتوب يكون مصحوبا بعدة تغييرات و قد أشار بول ريكور إلى هذه التغييرات في حديثه عن الكلام والكتابة منطلقـــا مـــن المخطط الاتصالي لرومان جاكبسن الذي يقوم على ستة عناصر : المتكلم ، الســـامع ، الوسيط ، قناة الاتصال ، الشفرة ، السياق والرسالة ، وتقترن هذه العناصر بمجموعة من الوظائف: الإنفعالية ، الإقناعية ، التعاطفية ، اللغوية الشارحة ، المرجعية و الشعرية .

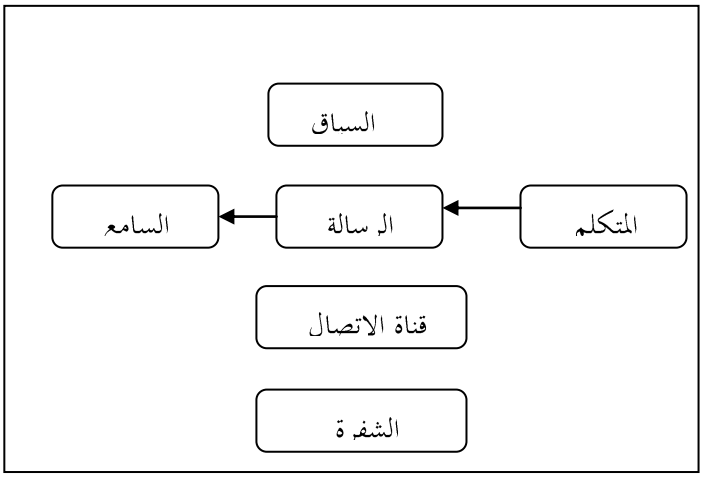

المخطط الاتصالي لرومان جاكبسن[2]

[1] – أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة ج3،ص388

[2] _ http://ar.wikipedia.org و http:/zendal.maktoobblog.com

أولى التغييرات تطرأ على القناة التي ينتقل عبرها الخطاب ، حيث تحل علامات مادية خارج جسم الإنسان المتكلم (الورق) محل صوته و وجهه و إيماءاته إذ يختفي الواقع البشري و تنوب عنه علامات مادية في نقل الخطاب و قد تثبت الكتابة ما يفلت من الكلام.

تكمن مهمة الكاتب في ايصال الخطاب عبر الكتابة إلى متلق غير مباشر ، وهنا تحضر المسافة المكانية " **فالاسترسال في الكلام لا يتحقق بالوتيرة نفسها في الكتابة ذلك لأن المتكلم أمام سماعه يستعين بوسائط عديدة وهو يؤدي كلامه ، فالحركات ونبرات الصوت كلها تساعد على ملء العديد من الفجوات أو الثغرات التي لا يمكن ملؤها في الكتابة دون إعمال الروية وضبط تركيب الكلام وبنائه لحصول المعنى و بلوغه إلى المتلقي**"[1]، ولا يمكن تجاوز هذه المسافة إلا بالخضوع لقواعد تأليف الكلام على صعيد الكتابة و هي غير قواعد الكلام المباشر لذلك تستدعي الروية الزيادة لملء الفراغات.

فضلا أن هناك تغييرات تمس الرسالة و المتكلم و هذه التغييرات تؤثر على العملية الاتصالية من خلال علاقة الرسالة بالمتكلم وعلاقة الرسالة بالسامع ،تتحوعلاقة المشافهة التي تقوم أساسا على مبدأ الحضور (المتكلم /السامع) وجها لوجه إلى علاقة قراءة و التي تكون أكثر تعقيدا ذلك أن السامع يتحول إلى قارئ يواجه مادة جافة عليه استنطاقها و حل شفراتها و تبدو هذه الثغرات واضحة من خلال ليالي الامتاع والمؤانسة حيث صرح أبو حيان في مقدمة كتابه أن الخطاب كان يقوم على المشافهة بينه وبين الوزير ابن العارض ، وبطلب من أبي الوفاء المهندس إنتقل الخطاب من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة ، و بما أن أبا الوفاء كان الوسيط بين الوزير و أبي حيان حيث كان له

[1] – سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتجليات،ص188

الفضل في تقريب التوحيدي من الوزير و جعله مسامرا له حتى يغير من أوضاعه المادية المزرية ، وهذا ما دفعه إلى الاعتقاد أن من حقه أن يطلع على مسامراته لأنه كان طرفا رئيسا في وجودها ولهذا خاطبه معاتبا " **أفكان من حقي عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها وفي أخواتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أن تخلو بالوزير _أدام الله أيامه _ ليالي متتابعة و مختلفة ، فتحدثه بما تحب و تريد ، و تلقي إليه ما تشاء و تختار وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ولعلك في عرض ذلك تعد طورك بالتشدق وتجوز حدك بالاستحقار ، وتتطاول إلى ما ليس لك ، و تغله في نفسك و تنسى زلة العالم وسقطة المتحري ، وخجلة الواثق.....**"[1].

وبعد هذا التهديد و التحقير وجد التوحيدي نفسه مضطرا لكتابة كل ما دار بينه و بين الوزير في رسالة وبعثها إلى أبي الوفاء ، يقول التوحيدي" **هذا و أنا أفعل ما طالبتني له من سرد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق و يصعب بعقب ما جرى من التفاوض فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق و الجليل ، و الحلو و المر و الطري و العاسي ، و المحبوب و المكروه**"[2].

دون التوحيدي ما جرى بينه و بين الوزير إلا أننا لا يمكن أن نتكهن أن ما وصل إلى يدي أبي الوفاء المهندس لم يكن مطابقا تماما لما جرى في مجلس الوزير و يمكننا تعليل ذلك بالإختلاف الموجود بين الخطاب الشفوي والخطاب المكتوب .

يختلف النص الناتج عن الكتابة عن الخطاب الشفاهي لأنه " **لا يعرض بالتفصيل دائما لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بالحكي أو الوصف بل يسكت عن كثير من**

[1] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1،ص12

[2] – –المصدر نفسه ،ج1،ص14

المعطيات التي يعتبرها جزءا من كفاية القارىء النصية و الذي عليه بمجهوده التعاوني إستحضارها و تشغيلها لاستكمال الاجزاء الناقصة في العالم الممكن الذي يتحدث عنه النص"[1].

والقارىء مطالب بالمبادرة في تأويل النص و فك شفراته أما على مستوى الخطاب الشفوي فتتظافر مجموعة من العوامل في إيصال القصد إلى السامع كالإشارات و الإيماء التي يقوم بها المرسل لإيضاح المعنى و عدم ترك أي فراغات يعجز المستمع عن ملئها .

إن التغيير يتعدى النص ليصل إلى الجملة حيث نجد الجمل في الخطاب الشفوي " **تدل على المتكلم بها من خلال الأدوات الإشهارية المتعددة للذاتية والشخصية ، لكن قدرة الخطاب على الإحالة على الذات المتكلمة به في الخطاب المنطوق تقدم سمة البداهة ، لأن المتكلم ينتمي إلى سياق القول المتبادل فهو هناك بالمعنى الأصيل للوجود و بالتالي يتداخل القصد الذاتي للمتكلم ومعنى الخطاب ، بحيث يصير فهم ما يعنيه المتكلم وما يعنيه الخطاب أمرا واحدا"**[2] .

و إذا انتقلنا إلى الخطاب المكتوب نجد أن "**قصد المؤلف ومعنى النص يكفان عن التطابق و التمازج في الخطاب المكتوب"**[3].

أدرك التوحيدي الفرق الموجود بين و ضعيتي الخطاب : المشافهة والكتابة أي الإفاضة في اللسان و الكتابة يقول " **والكلام ذو جيشان ، والصدر ذو غليان و القلم ذو نفيان**

---

[1] – ميلود حبيبي ، النص الأدبي بين التلقي و إعادة الإنتاج من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة ،كلية علوم التربية الرباط ، نظرية التلقي أشكال و تصنيفات ص 174.

[2] – بول ريكور ، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 1 ،2003 ، ص 61

[3] – مرجع نفسه ، صفحة نفسها

ومتدفقه لا يستطاع رده ، ومنبعثه لا يقدر على تسهيله ، و خطبه غريب ، وشأنه عجيب "[1].

و الكتابة تستدعي التنسيق و الإصلاح و التكلف يقول " **و لم آل جهدا في روايتها (الأحاديث) و تقويمها بل زبرجت كثيرا منها بناصع اللفظ مع شرح الغامض و صلة المحذوف و إتمام المنقوص**"[2].

و لما جاءت الكتابة بسبب ضغوط الوسيط أبي الوفاء المهندس الذي يعتبر المتلقي الغائب للخطاب المكتوب كان لزاما على التوحيدي الإستزادة من أجل ملء العديد من الفجوات لحصول المعنى وبلوغه إلى المتلقي.

يعترف التوحيدي في عدة مواضع أنه استزاد في الليالي ، يقول في الليلة الثامنة والثلاثين " **إنما نثرت بالحلم ما لاق به فاما الحديث الذي كان يجري بيني و بين الوزير فكان على قدر الحال و الوقت (الواجب) ، و الإتساع يتسع الحلم ما يتسع اللسان ، و الروية تتبع الخط ما لا يتبع العبارة ، ولما كان قصدي فيما أعرضه عليك و القيه إليك ، أن يبقى الحديث بعدي وبعدك ، لم أجد بدا من تنميق يزدان به الحديث و إصلاح يحسن معه المغزى ، وتكلف يبلغ بالمراد الغاية**"[3].

يتأكد لنا من خلال هذه الشواهد المسافة الكبيرة بين الشفاهي و ما يستدعيه و الكتابي وما يتطلبه وقد وعى التوحيدي هذا الفرق و هذا ما جعله كاتبا حقيقيا يمتلك ناصية اللسان امتلاكه ناصية القلم ، إلا أن هذا لم يمنعه من إختراع أشياء لم تحدث يقول أحمد

---

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ج2،ص283

[2] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] - المصدر نفسه ، ج3،ص 288

أمين" **ولست أستبعد أن كون احمد أمين قد تزيد فيه ، و اخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتهمه العلماء من قبل و منهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعزوة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر و عمر في حق علي بن أبي طالب و لعل هذا التزيد كان من بين الأسباب التي دعته أن يرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب في حياة الوزير وخشي أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزيد "**[1].

و نعثر في نصوص الإمتاع و المؤانسة ما يؤيد هذا الرأي حيث نجد التوحيدي يقول في مقدمة الجزء الثاني " **و أنا أسألك ثانية عن طريق التوكيد كما سألتك عن طريق الإقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة من عيون الحاسدين العيابين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف ولا كل متوسط يصلح ، ولا كل قادم يفسح له في المجلس عند القدوم "**[2].

إن هذا الإصرار على إخفاء نصوص الإمتاع والمؤانسة يوحي بأن التوحيدي قد إستزاد و أضاف أحاديث لم تجري في مجلس الوزير و خاف على نفسه من عقاب الوزير لذلك طلب من أبي الوفاء إخفاء ها حفاظا على مكانته .

إن التغييرات التي طرأت على الخطاب حين انتقاله من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة صحبتها تغييرات على مستوى المتلقي حيث تم الإنتقال من الحديث عن متلقي مستمع إلى متلقي قارئ.

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة احمد أمين ص ص ، ع، ف.

[2] – المصدر نفسه ،ج2، ص 161

فإذا كان الخطاب المنطوق يتجه إلى شخص محدد وهو المخاطب و المتمثل في شخص الوزير ابن العارض ، فإن الخطاب المكتوب يتجه إلى قارئ قد يكون معلوما أو مجهولا ، أما القارئ المعلوم أو القارى الأول هو أبو الوفاء المهندس ، والقارئ الثاني مجهول يتعدد مع مرور الأجيال و يمكن القول أنه كل شخص يعرف القراءة .

2.مفهوم السرد التوحيدي:

جاء في لسان العرب السرد في اللغة تقدمة شيء إلى تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا . سرد الحديث و نحوه يسرده سردا إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سردا إذاكان جيد السياق له ، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه ، والدروع مسرود ومسرودة.....وقيل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض[1].

من خلال هذا التعريف نقف عند أهم دلالات لفظة السرد : الإتساق ، التتابع ، جودة السياق ، النسج ، الترابط ، ونجد مصطلح السرد يتفق مع مصطلح القص في هذه الدلالات يقول إبن منظور في مادة قصص "**يقال قصصت الشيء غذ تتبعت أثره شيئا بعد شيء و منه قوله تعالى (وقالت لأمه قصيه) أي إتبعي أثره** (.....) **و القصة الخبر و هو القصص و قص عليا خبره يقصه قصا و قصصا أورده و القصص الخبر المقصوص** (.....) **و القصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب ، القص القطع أو تتبع الأثر** (....) **وتقصص الخبر تتبعه ، والقصة الأمر والحديث** (....) **والقص البيان** (...) **والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها و ألفاظها** (...) **وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا.....**"[2].

[1] _ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت 1985 ج3 ص 211

[2] _ المصدر نفسه ، ج7 ص ص 74،75

من هنا نجد أن السرد و القص يشتركان في الدلالة على تتابع الحديث و الأخبار كما يشتركان في دلالتهما على الجودة و الترابط و النسج فهما يقفان عند طبيعة النص السردي الذي ينبغي أن يتسم بالترابط و التتابع والتواشج المنطقي بين أجزائه

كما ينبغي أن يتوفر على القدرة البيانية و الجودة في السياق حتى يؤدي وظيفته الإبلاغية و الجمالية.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف السرد على أنه " **اللغة المكتوبة أو المروية شفاها التي ينبغي أن تتسم بالترابط و الإتساق و التواشج بين أجزائها لأنها تنقل حدثا أو مجموعة أحداث متعلقة بشخصيات أو بشخص واحد من صورتها الواقعية أو الخيالية إلى صورتها اللغوية ، شريطة أن توفر الجودة و البيان في الأسلوب اللغوي الذي يجسد تلك الأحداث و يصور الشخصيات** "[1].

وقد يتعدى السرد اللغة الشفاهية أو المكتوبة إلى أبعاد أخرى كالصورة والحركة ، يقول بارث "**يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية و بواسطة الصورة ثابتة أو متحركة و بالحركة و بواسطة الإمتزاج المنظم لكل هذه المواد ، إنه حاضر في الأسطورة و الخرافة و الأمثولة و الحكاية و القصة ، والملحمة والتاريخ و الماساة والدراما و الملهاة ، والإيماء و اللوحة المرسومة و في الزجاج المزوق و السينما و الأنشوطات و المنوعات و المحادثات**"[2].

وعلى الرغم من كون السرد حديث النشأة إلا أن مصطلح السرد لم يظهر إلا في سنة

[1] _ محمد أحمد مسعود ، كتابات معاصرة ، مجلة الإبداع و العلوم الإنسانية ،مجلد 5 عدد 20 كانون الأول 1993 كانون الثاني 1994

[2] _ سعيد يقطين ، الكلام والخبر ص 19.

1969 على يد تودوروف حيث عرف السرد بأنه " **وسيلة توصيل القصة إلى المستمع أو القارئ بقيام وسيط بين الشخصيات و المتلقي هو الراوي**"[1].

إن عملية توصيل الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تطول أو تقصر حسب طول الحكاية ، يقوم بها سارد أو راوي من خلال زاوية نظر يختارها حتى أصبح شخصية ناقدة لا تكتفي بنقل الأحداث فقط بل تقوم بعرض رؤيتها للأحداث من أجل التأثير فتحقق بذلك أدبية العمل الأدبي وتتعدد مستويات تلقيه ، ومن ثم أمكن القول أن السرد " **هو الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي فكأن السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي و بهذا يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل المعاجم إلى تقديمه بمعنى النسج أيضا**"[2].

وإذا رجعنا إلى كتاب الإمتاع و المؤانسة نجد أن التوحيدي يستعمل لفظة السرد للدلالة على المكونات التي سبق و أن إستخلصناها من المعنى المعجمي للسرد (الإتساق ، التتابع ، الترابط.....) فقد ربط التوحيدي مفهوم السرد بالقص و طقوسه.

يقول التوحيدي في حديثه عن مضمون كتابه" ... **وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير و لم آل جهدا في روايتها و تقويمها** "[3]

وقد ركز على مصطلح السرد للدلالة على الطريقة التي كان يدور بها الحديث داخل المجلس ومن جهة ثانية فهو يركز على ضرورة إتقان النص السردي المكتوب من أجل أن يؤدي الدور المنوط به على أكمل وجه فيحصل بذلك توصيل المعنى.

---

[1] _ ناهضة عبد الستار ، بنية السرد في القصص الصوفي ، المكونات والوظائف و التقنيات ص

[2] _ آمنة بلعلى ، تقنيات السرد، ص

[3] _أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص

و يقول في حديث عن أبي سليمان المنطقي "**هذا منتهى كلامه على ما علقه الحفظ و لقنه الذهن و لو كان مؤخوذا عنه بالإملاء لكان أقوم وأحكم و لكن السرد باللسان لا يأتي على جميع الأماكن في كل مكان**"[1]

فالتوحيدي هنا يوظف مصطلح السرد للدلالة على الحكي و القص والإخبار مشافهة ويؤكد عل عدم قدرة النص على استيعاب وحفظ كل ما يرد عليه من حديث شفهي لذلك يرى أن اللغة المكتوبة لها القدرة على توصيل المعنى المقصود ومن ثم فهو يفضل الخطاب المكتوب عن الخطاب الشفوي.

يرتبط السرد التوحيدي برواية الحديث متسقا مترابطا ، وقد حرص على ضرورة إتقان الخطاب المكتوب حتى يكون الإبلاغ صحيحا ، كما يرتبط أيضا بالحديث الذي يتسم بالإتقان وهو أساس العملية السردية " **هذا كله سردناه لسبب الأمر الذي يبدو من غير جنان و العارض الذي يبرز من غير توهم**"[2].

لم يكتف التوحيدي بلفظ السرد ، فيستخدم القصة للدلالة على سرد الأحاديث التي كانت تجري في المجالس العلمية يقول مخاطبا أبا الوفاء المهندس " **ثم إني أيها الشيخ _ أحياك الله لأهل العلم وأحيا بك طالبيه _ ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح جعفر بن الفرات بن أبي سعيد السيرافي و أبي بشير متي واختصرتها ،فقال لي أكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري في ذلك المجلس النبيه بين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه و توعى فوائده ، ولا**

[1] _أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ج3 ، ص377

[2] _ المصدر نفسه ،ج2 ، ص265

يتهاون بشيء منه ، فكتبت : حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة ، فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة"[1]

ويقول في آخر المحاورة "**هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الرماني الشيخ الصالح بإملائه ، وكان أبو سعيد قد روى لمعا من هذه القصة"**[2].

ويستخدم لفظة الحكاية للدلالة على المعنى نفسه يقول " وقد حكيت هذا لأبي زكريا الصيمري فطوب وإرتاح وقال :ما أبعد نظر هذا الرجل !وما أرقى لحظه وما أعز جانبه"[3]

كما يستخدم لفظة الحديث للدلالة على إتصاله بصاحب الخبر يقول" **حدثا أبو السائب القاضي عتبه بن عبيد قال : حدثنا محمد بن المرزبان قال حدثنا المغيرة قال: حدثنا محمد بن العباس المنقري قال: كان شريك ابن عبد الله على القضاء بالكوفة..."**[4]

وتكشف لفظة حدثنا عن أن مصدر الحكي شخص آخر قد يعكس جانب الصحة أو غير ذلك .

3.مكونات السرد التوحيدي:

من خلال تصفح نصوص الإمتاع والمؤانسة نلحظ أن التوحيدي قد إعتمد على أساليب مختلفة من المحادثة كان الغرض منها تحقيق التواصل و إرضاء رغبة إبن العارض.

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1 ،ص 82

[2] _المصدر نفسه ، ج1 ، ص94

[3] _ المصدر نفسه ،ج2،ص215

4_ المصدر نفسه ، ج2، ص 226

1.3. الخبـــــر:

يعد الخبر من المكونات الأساسية للسرد التوحيدي"**والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر(...) و الخبر: النبأ ، والجمع أخبار (...) وخبره بكذا و أخبره : نبأه و استخبره :سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ... تخبر الخبر واستخبره إذا سأل عن الأخبار ليعرفها و أخبره خبوره.: أنبأه ما عنده ...و المخبر خلاف المنظر**"[1].

و الخبر هو النبأ أو القول الذي يفيد المتلقي و هو بمثابة المشاهد وهنا يمكن الإشارة إلى علاقة الخبر بنقل الحدث والفعل إذ يقوم الخبر برصد الأحداث و الأفعال التي تصدر عن الشخصيات ، ويشترط في الخبر أن يتسم بالصدق في نقله للأحداث يقول التوحيدي " **و ظاهر ما يرى بالعيان مفض إلى باطن ما يصدق عنه الخبر**"[2].

إن الخبر يمثل صورة الواقع عبر اللغة ، غير أنه في كثير من الأحيان يتأثر برأي الفنان ونظرته لهذا الواقع ونجد التوحيدي يشير إلى العلاقة بين الخبر والواقع يقول: "**ليس الخبر كالمعاينة ، والمسموع و المبصر كالأنثى و الذكر يترع كل واحد منهما إلى تمامه** "[3].

تتجسد العلاقة بين الخبر والواقع في كون الخبر يرصد الواقع عن طريق اللغة المكتوبة أو المسموعة ، حيث يقوم الخبر بتصوير الواقع عن طريق الآليات اللغوية المكتوبة كالإستعارة والوصف و الحوار.....

إن هذه الآليات هي التي تجعل الخبر ينتقل من التقريرية والمباشرة ويتسم بالتنوع و جمال الأسلوب.

---

[1] _ابن منظور ، لسان العرب ج،ص

[2] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج1،ص9

[3] _ المصدر نفسه ، ص 137

يمثل الخبر أصغر وحدة حكائية ، ونميزه عن الحكاية بكون مركز التوجيه فيه يتمحور حول الفعل(الحدث) فهو يشتمل على قص حدث أو أحداث أو فعل أو أفعال حقيقية كانت أم خيالية.

يتسم الخبر في الإمتاع و المؤانسة بالإيجاز و التكثيف ما نجده في ملحة الوداع التي قدمت في نهاية الليلة الأولى.

"حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية قال رأيت جحظة قد دعا بناء ليبني حائطا فحضر بنا ، فلما أمسى إقتضى البناء الأجرة ، فتماسكا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما فقال جحظة إنما عملت يا هذا نصف يوم و تطلب عشرين درهما ؟ قال أنت لا تدري ، إني قد بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة ، فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط ، فقال جحظة ، هذا عملك الحسن ؟ قال ، فأردت أن يبقى ألف سنة قال: لا ولكن لا يبقى إلا أن تستوفي أجرتك _ فضحك _أضحك الله سنه"[1].

- جحظة يدعو بناء ليبني له حائطا .
- في المساء يطلب البناء عشرين درهما .
- يستكثر جحظة الثمن .

أ_ عمل نصف يوم لا يساوي الثمن .

- البناء يرى الثمن مناسبا .

ب_ الحائط يبقى مائة سنة .

- سقوط الحائط .

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1ص 28

- جحظة يسخر من عمل البناء الذي انهار بناؤه قبل حصوله على ثمن أتباعه .

يتمركز الخبرر على "الحدث" بناء الحائط وكل ما دار بين البناء و صاحب الحائط من خصام هو حول الحائط في حد ذاته ، وحين نعتبر الخبر أصغر وحدة حكائية فلكونه غير قابل لأن يحذف منه أي مقطع من مقاطعه .

يتشكل الخبر في هذا النص من ترادف جمل خبرية ترصد أفعال الشخصيات و تتقصى الحدث و تتتابع هذه الجمل و تترابط عبر الأفعال التي تخبرنا بالحدث و تشكل لوحة سردية بطريقة فنية و ترتبط هذه الجمل بأدوات الوصل (الفاء) التي جعلت الحدث أكثر ترابطا و تماسكا.

و عادة ما يتصل الإخبار بالزمن الماضي و الصوت غير المباشر يقول التوحيدي"**ولقد حكى أبو الحسن الفرضي في أمر الإتفاق شيئا ظريفا عن بعض إخوانه قال: خرجنا إلى بعض المنتزهات ومعنا جر نصيد به السماني ، وكنا جماعة فقال حدث كان معنا وكان أصغرنا سنا أنتم تصيدون بجر وأنا أصيد بيدي يقول ذلك على جهة المزح ، فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثار سماني، فأسرع إليه و نحن نعلم أنه أخذ شيئا فقلنا له عن طريق العبث :إحذر الخنزير من غير أن تكون رأينا خنزيرا فالتفت فزعا وفر موليا، فاتفق له أن رأى خنزيرا منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مسرعا هاربا من الخنزير والسماني بيده وقد صاده**"[1].

من خلال هذه الأمثلة المستقاة يمكن أن نلاحظ أن أنواع الخبر المتضمنة لا تخرج عن الأنواع الخبرية البسيطة التي تعتمد الإيجاز والقصر.

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج2، ص 262

2.3 .الحوار:

بالإضافة إلى الخبر يشكل الحوار عنصرا مهما من عناصر السرد التوحيدي ويعتمد الحوار على تقنيات و أساليب مختلفة ليصل إلى الغرض المقصود منه وهو إرضاء رغبة المتلقي و تبليغ الرسالة ، ومن بين التقنيات التي يعتمد عليها السؤال و التعليق كما يعتمد على أسلوبي الرواية و الإسناد.

جاء في لسان العرب "**الحور: الرجوع من الشيء إلى الشيء ، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ... رجع عنه و إليه ، وأحار عليه جوابه ، رده و أحرت له جوابا وما أحار بكلمة والوسم من المحاورة الحوير ،نقول سمعت حويرهما و حوارهما ، والمحاورة المجاوبة و التحاور التجاوب...و هم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ...و أصل التحرير في اللغة من حار يحور، وهو الرجوع و التحوير الترجيع**"[1]

من خلال هذا التعريف يتبين أن مفهوم الحوار لا تخرج عن الرجوع و المجاوبة و الرد .

و بالعودة إلى نصوص الإمتاع والمؤانسة نجد الحوار يشكل عنصرا هاما من عناصر السرد التوحيدي طرفاه الرئيسيان ابن العارض و التوحيدي ، الأول يسأل و الثاني يجيب إلى أن يحصل الفهم عن طريق التنويع في الأساليب الخطابية.

أ_ السؤال:

تعد الليلة الأولى من ليالي الإمتاع و المؤانسة ليلة وظيفية ، ففيها تم وضع شروط الحديث بين أبي حيان التوحيدي و ابن العارض و منذ الوهلة الأولى تظهر تقنية السؤال و الجواب التي تخلق نوعا من التنامي الحواري في ليالي الإمتاع والمؤانسة

[1] _ ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ،ص ص218، 220

يقول التوحيدي" **وصلت أيها الشيخ أطال الله حياتك ، أول ليلة إلى مجلس الوزير أعز الله نصره (...) فأمرني بالجلوس (...) ثم قال بلسانه الذليق ، ولفظه الأنيق ، قد سألت عنك مرات شيخنا أبا الوفاء فذكرت أنك مراع لأمر البيمرستان من جهة و أنا أربأبك عن ذلك ، ولعلي أعرفك لشيء أنبه من هذا و أجدى ، ولهذا فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة و التأنيس، ولأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة تردد في نفسي على مر الزمان ، ولا أحصيها لك في هذا الوقت لكني أنشرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرض ، فأجبني عن ذلك باسترسال وسكون بال بملء فيكوجم خاطرك و حاضر علمك (...) مع عفو لفظك وزائد رأيك ، وربح ذهنك (..)و أجزم إذا قلت ، وبالغ إذا وصفت وأصدق إذا أسندت ، وأفصل إذا حكمت ،إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تهاديا (...) وكن على بصيرة أني سأستدل مما أسمعه منك في جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافه وعلى تحريفك و قرافه**" [1]

من خلال هذا النص تتضح أسس الحوار بين أبي حيان و ابن العارض ، يقوم ابن العارض بعرض مجموعة من الانشغالات على أبي حيان كل ليلة و على التوحيدي أن يجيب عنها باسترسال وسكون بال وذلك عن طريق تدعيم أحاديثه بالإسناد لأن الوزير سيستدل من جوابه عن صدقه أو كذبه .

ويستمر ابن العارض في طرح أسئلته على أبي حيان يقول "**ما الفرق بين الحادث و المحدث و الحديث**"[2]، ويجيب التوحيدي قائلا " **فكان من الجواب أن الحادث ما**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج1 ،ص ص،22،23

[2] _ المصدر نفسه ،ج1، ص 26

يلحظ نفسه ، و المحدث ما يلحظ مع تعلق بالذي كان عنه محدثا والحديث كالمتوسط بينهما مع تعلق بالزمان و من كان منه"[1] .

إن السؤال يستلزم جوابا و من ثم فهو يحفز على استمرار الحديث ،و ليكون الحديث أكثر صدقا على السارد أن يعتمد على أسلوبي الرواية و الإسناد.

يظهر منذ الليلة الأولى أن الوزير ابن العارض هو الموجه الرئيسي للحوار و الحديث فهو الذي يشرع في الحوار بافتتاح الجلسات بالسؤال يقول"**أول ما أسألك عنه حديث أبي سليمان المنطقي كيف كان كلامه فينا و كيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا،فقد بلغني أنك جاره ومعاشره ، وصديقه ، وملازمه وقافي خطوه و أثره و حافظ غاية خبره"**[2].

فمساهمة الوزير في طرح الأسئلة على التوحيدي تمثل جانبا من جوانب الحوار (السؤال) و الجانب الثاني يتمثل في(الجواب) حين يأخذ التوحيدي الدور في بداية الجلسات إستجابة لطلب الوزير و أوامره بالإجابة ، قال لي ليلة أخرى (أي الوزير) " **ألا تتم ما كنا به بدأنا ، فقلت بلى"**[3].

لقد كان السؤال محفزا على الإسترسال في تشكيل طقس المؤانسة كما كان له دور في ربط الحوار بعد إنقطاعه عند إنقضاء الليل و عند العودة مرة أخرى كان السؤال فاتحة المجلس وبه تم وصل ما انقطع من حديث"**ألا تتم ما كنا به بدأنا**"، وهكذا يتم ربط الليالي بعضها ببعض ويحفز السارد على مواصلة حديثه .

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج1،ص26.

[2] _ المصدر نفسه ، ج1،ص 29

[3] _ المصدر نفسه، ج1،ص 54

يلجأ ابن العارض في كثير من الأحيان إلى السؤال لمعرفة أحداث أو أخبار بعض الشخصيات لكنه أحيانا أخرى يلجأ إلى السؤال من أجل إطالة المتعة يقول " **فكيف يتم له ما هو فيه مع هذه الصفات التي تذكرها**"[1].

وقد يكون السؤال جزءا من أجزاء الأحداث التي يسردها السارد وتكمن وظيفته في ربط الأحداث بعضها ببعض ، كما قد يكون السؤال جزءا من حوار بسيط يتم عبر السؤال والجواب.

ب_التعليق:

بالإضافة إلى السؤال إعتمد التوحيدي تقنية أخرى من تقنيات الحوار وهي التعليق حيث يلجأ ابن العارض إلى التعليق على حديث التوحيدي وقد يكون التعليق مدحا أو يكون نقدا لاذعا و هذا ما يدفع التوحيدي إلى الرد و التوضيح و الإسترسال في الحديث والسرد.

والتعليق يجعل الوزير ابن العارض مشاركا في عملية السرد عن طريق تبادل الحديث مع السارد كما يحفز السارد على الإستمرار في الحكي.

ويمكن أن نستدل على حضور التلقي في نصوص التوحدي بالأمثلة التالية:

يقول ابن العارض " **ما أحسن ما قال ابن المقفع و ما أحسن ما قصصته و ما آتيت به ! هات الآن ما عندك من مسموع مستنبط** "[2].

ويعلق الوزير في موضع آخر قائلا " **هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة لكنك خليت يدك من طرف الحديث في الخلق ، قلت إذا طاب الحديث باسترسال السجية**

[1] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج1،ص55

[2] _ المصدر نفسه ، ج1 ص58

ووقوع الطمأنينة لها تخلى الإنسان عن مباديه وسال مع الخاطر الذي يستهويه و لتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطل والزلل حد إذا بلغه كل الخاطر و اختل"[1].

في أحيان كثيرة يدفع تعليق الوزير بالتوحيدي إلى الرد والتوضيح " **قال الوزير ما أعجبني من جمع هذا الكلام إلا من أبي سليمان في هذا الإستحقار و التغضب و الإحتشاد و التعصب و هو رجل يعرف بالمنطقي وهو من غلمان محي بن عدي النصراني ، ويقرأ عليه كتب يونان و تفسير دقائق كتبهم بغاية البيان"[2].**

ويستمر الوزير بالتعليق على ما يدور من حديث بينه وبين التوحيدي حول أبي سليمان المنطقي متحصرا في الوقت نفسه لأنه كان يتمنى لقاءه و الإجتماع به لتكون الإفادة أكثر يقول الوزير"**قد بان الغرض الذي رمى إليه تقليبه بالجدل لا يزيده إلا إغلاقا ،والقصد معروف ، والوقوف عليه كاف ومع هذا فليت حظنا منه كان يتوفر بالتلاقي و الإجتماع ،لا بالرواية و السماع"[3] .**

وقد يسهم التعليق في أحيان كثيرة في رسم صورة شخصية من الشخصيات التي يدور حولها الحوار ،يقول عن الحاتمي"**هذا حسن لو أتى به الحاتمي للوى شدقه وقال : تنح فقد جاء الأسد و غلب الطوفان وخرج الدجال و طلعت الشمس من المغرب ،**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج1، ص 107

[2] _ المصدر نفسه، ج2 ، ص 175

[3] _ المصدر نفسه ،ج2، ص175

مابال أصحابنا تعتريهم هذه الخيلاء ، و يغلب عليهم النقص ويتمكن منهم الشيطان "[1].

من هنا يمكن القول أن التعليق يغني السرد ،فهو يشكل بعدا من أبعاد الحوار الذي يتطلب أساسا مرسلا و متلقيا يشتركان في تكوين طقس المؤانسة.

ج ـ الرواية:

أكد التوحيدي على أهمية الرواية باعتبارها سمة مكونة لطقس المؤانسة يقول على لسان أبي الوفاء المهندس " **إن الإستماع في الرواية أشفى للغليل و الشرح للحال أبلغ إلى الغاية و أظفر للمراد وأجرى على العادة"**[2].

إعتمد التوحيدي في جوابه على أسئلة ابن العارض على نوعين من الرواية ، الرواية المباشرة ، حيث يروي السارد عن نفسه وإنطلاقا من رؤيته و تصوراته للأحداث و الرواية التي يروي فيها عن غيره ليمتع متلقيه و يشكل نصوص الإمتاع والمؤانسة .

وقد تعددت أشكال الرواية في الإمتاع و المؤانسة تبعا للموضوع وتبعا للشخصية التي يروي عنها التوحيدي فتعددت أسماء الرواة .

لقد روى التوحيدي عن غيره ليدعم سرده ويؤكد مصداقيته المشكوك فيها فتشكلت من خلال هذه الروايات المختلفة أنواع أدبية متنوعة ، وقد حظي الفلاسفة بالنصيب الأكبر من رواية التوحيدي إلى جانب رواة الأخبار و اللغويين ، و بالإضافة إلى سمة التنوع تظهر سمة أخرى وهي سمة الإيهام وهذا ما يتبين من خلال قول الوزير "**قرأت ما دونه الصابي أبو إسحاق في التاجي فما وجدت هذا الحديث فيه ، قلت لعله لم يقع إليه**

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج3 ص367

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص 16

أو لعله لم يرى التطويل ،أو لعله لم يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه قال : هذا ممكن فهل سمعت في أيام الفتنة بغريبة"[1].

من خلال هذا النص يتبين أن رواية التوحيدي مشكوك فيها و قد إعتمدها وسيلة إيهامية محاولا إغناء الحديث و إعطاء مصداقية لمحاوراته مع أبي الوفاء ، كما أنه كان في أحيان كثيرة يحاول تمرير بعض آراءه الصريحة و نسبتها إلى غيره من أساتذته خوفا من غضب الوزير لأن بعض الأفكار التي كان يطرحها كانت تتعارض و أفكار الوزير فكان لا بد أن ينسبها لغيره و يرويها على لسان فلاسفة و أدباء حتى يتفادى غضب الوزير من جهة و يستطيع طرح أفكاره و مناقشتها بحرية من جهة أخرى.

و المتأمل لكثير من هذه الروايات يجدها تتلون بأسلوب أبي حيان و أفكاره و تعبيراته مما يدل أنها صادرة عنه ، والغرض منها إما التخفي بسبب الخوف و إما شد إنتباه المتلقي (الوزير) حتى إننا نجد أغلب الليالي تخلو من الحديث المرسل الذي لا يسند إلى آخر ، وبذلك أخدت الرواية النصيب الأكبر في سرد أبي حيان التوحيدي لأنها كانت تهدف إلى الإيهام بصدق المرسل كما يراد من خلالها التنويع الأسلوبي في إطار الحوار فتشكلت بذلك ليالي الإمتاع و المؤانسة إلا أن الرواية غالبا ما تتشكل من خلال أسلوب واحد متشابه ولا يظهر الإختلاف إلا من خلال المضمون ،أما الأسلوب العام فيتشكل إنطلاقا من أسلوب الراوي المهيمن.

[1] _ أبو حيان التوحيدي،لإمتاع والمؤانسة ، ج3، ص386

د_ الإسناد:

إتصل الإسناد في بداية الأمر بالحديث النبوي الشريف فقد كان "**السبيل الوحيد للتثبيت من صحة انتساب الحديث إلى الرسول لذا فقد اكتسبت سمة دينية شأن الحديث لمجاورته له و تعلقه و مثلما عني بالمتن كونه يصدر عن الرسول عني بالسند لأنه حامل له**"[1] .

ومع مرور الوقت صار الإسناد جزءا من تقاليد البنية الثقافية ، و لم يعد يقصد من وراءه تحقيق المعرفة بقدر ما صار مظهرا تفرض العادة وتقاليد الرواية وجوده.

وقد اعتمد التوحيدي في أحاديثه على الاسناد حاول إبراز أهميته منذ الوهلة الأولى ، يقول على لسان أبي الوفاء المهندس " **وليكن الحديث على تباعد أطرافه واختلاف فنونه مشروحا و الاسناد عاليا متصلا ، والمتن تاما بينا واللفظ خفيفا لطيفا و التصريح غالبا متصدرا**"[2].

و إذا كان التوحيدي قد وظف الرواية للإيهام بصدق المرسل فالإسناد كذلك جاء ليؤكد مصداقية المرسل إلا أنه كما كانت الرواية مشكوكا فيها فالإسناد كذلك قد يكون مشكوكا في صحته ومما يؤكد هذا الطرح أن التوحيدي لم يكن يحفل بالسند فأتت جل أحاديثه بدون سند و إذا أسند فإنه يروي عن أشخاص معدودين لا يتعداهم إلى غيرهم.

ومن الأمثلة على الإسناد مايلي " **قال ابن الكلبي حدثني الحكم بن هشام الثقفي قال :مات عبيد الله ابن جحش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت معه بأرض الحبشة**

[1] _ عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص 52

[2] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج1،ص 19

فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فدعا بالقريتين فقال من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص أنا أولاهم بها"[1] .

و في موضع آخر يقول" **قال حماد الراوية عن قتادة : قال زياد لغيلان بن خرشه أحب أن تحدثني عن العرب وجهدها و ضنك عيشها لنحمد الله على النعمة التي أصبحنا بها، فقال غيلان :حدثني عمي قال.....**"[2]

4_ مصادر الحديث لدى التوحيدي:

إن المادة المطروحة من خلال كتاب الإمتاع والمؤانسة تنم عن ثقافة واسعة يتمتع بها السارد المتمثل في شخص أبي حيان التوحيدي والمتلقي و المتمثل في شخص ابن العارض كل منهما عاش ظروفا إجتماعية و مادية مختلفة مكنته من تكوين شخصيته وغزارة معارفه ، فكان لكل منهما مخزونه الكافي الذي ساعده على أن يكون عضوا فاعلا في إنتاج ليالي الإمتاع و المؤانسة و بالرغم من ثقافة ابن العارض إلا أن كان يحاول أن يستزيد علما ومعرفة من خلال محاوراته مع أبي حيان ، و في المقابل لم يبخل أبو حيان بمده بمختلف المعارف فكانت أسئلة الوزير بمثابة المحفز إلى الخوض في مواضيع شتى منها اللغوية و الفلسفية و الدينية و المعرفية.

من خلال مواضيع الإمتاع والمؤانسة و طبيعة الأسئلة التي كانت تطرح يمكن أن نتبين مصادر التوحيدي:

[1] _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ،ج2،ص 209

[2] _ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 331

4_1_ الذاكرة:

تمثل الذاكرة مصدرا مهما من مصادر المعرفة لدى التوحيدي فقد كان يعتمد عليها كثيرا في الإجابة على أسئلة ابن العارض من خلال ما يرويه عن مشاهداته وسماعاته من أفعال و أقوال تتصل بمختلف المشاكل و القضايا المعاصرة" **وتتركز نظرية التذكر على طريقة سقراط في البحث،وتعني التوليد السقراطي المتمثل في البحث الجماعي بواسطة الحوار و هذا البحث يجر المخاطب على أن يجد في نفسه الحقائق المطلوبة ، فالتوليد طريقة تمكن المخاطب من الوعي بالمعرفة الكامنة في نفسه ، فالعلم تذكر، والجهل نسيان والتذكر يكشف لنا الحقائق التي يستطيع كل إنسان أن يجدها في نفسه كان يعرفها من قبل ....و تتطلب عملية التذكر جهدا شيئا فشيئا ...ولهذا فالتعلم تذكر"**[1].

ونلحظ قوة ذاكرة التوحيدي بالأخص في حديثه عن معاصريه من المثقفين والكتاب و أصحاب المذاهب و الملل من خلال الدقة في الوصف وعمق في رصد ملامحهم النفسية و العقلية و العلمية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذاكرة قوية لا تدع شيئا إلا رصدته ولو بدا تافها وليس ذا أهمية ما دامت له دلالة خاصة تسهم في تأثيث الموضوع المعروض يقول التوحيدي في وصف أبي الحسن الفلكي "**و كان من أهل البصرة ، ووقع إلى المراغة ، ونواحيها وهو حسن الديباجة رقيق حواشي اللفظ ، وهو أحدهم غربا، وأغزرهم سكبا ، وأبعدهم مناخا ،وأعذبهم نقاخا، وأعطفهم للأول على الآخر و أنشرهم للباطن من الظاهر"**[2].

---

[1] _فتحي التريكي ،أفلاطون و الديالكتيكية، الدار التونسية للنشر تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986،ط2،ص180

[2] _أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج1،ص55

وتظهر جليا قوة الذاكرة لدى أبي حيان التوحيدي في الليلة الثامنة عند حديثه عن مذهب ابن يعيش في الرسالة التي كتبها إلى الملك السعيد سنة سبع وثلاثمائة يقول الوزير" **هات _ على بركة الله_ فإني أحب أن أسمع في هذا الخطب كل ما فيه و أكثر ما يتصل به**"[1].

فما كان من التوحيدي إلا أن يستدعي ذاكرته ليستحضر رسالة ابن يعيش و يناقش محتواها ثم ينتقل إلى الحديث عن مناظرة جرت في مجلس الفضل بن جعفر بن الفرات بن أبي سعيد السيرافي و أبي بشر متي ، و كعادته طلب منه الوزير معرفة تفاصيل هذه المناظرة يقول: " **أكملت هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري من ذلك المجلس النبيه بين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه وتوعى فوائده و لا يتهاون بشيء منه**"[2].

4_2 _ الحافظة:

يزخر كتاب الإمتاع والمؤانسة بالكثير من الأقوال و الشواهد المنسوبة إلى أصحابها سواء كانت شعرا أو نثرا ، وهذا دليل على قوة الحافظة لديه ، إذ كان حريصا على نسبة الأقوال إلى أصحابها و نقلها نقلا صحيحا و ذلك من أجل إضفاء مصداقية أكبر على حديثه ، لأنه كلما كان الإسناد صحيحا كلما كانت نسبة الوثوق به وتصديقه أكبر.

ومن أمثلة ذلك مانقله التوحيدي عن أبي سعيد يقول " **فقال أبو سعيد معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ و سكناته ، وبين وضع الحروف من مواضعها المقتضية لها**

[1] _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص80

[2] _ المصدر نفسه ،ج1 ، ص82

و بين تأليف الكلام و التقديم والتأخير و توخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغا بالإستعمال الناذر و التأويل البعيد ، أو مردودا لخروجه من عادة القوم الجارية على فطرتهم ، فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم و مأخوذ عنهم و كل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع و القياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم و تكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون و جعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى"[1].

وقد نقلنا هذا النص على الرغم من طوله لنبين أن التوحيدي كانت لديه قدرة كبيرة على الحفظ مكنته من نقل أقوال بدقة متناهية ونسبتها إلى أصحابها على الرغم من طولها في أحيان كثيرة.

لقد كانت إجاباته على الكثير من أسئلة الوزير تقوم على الحافظة عندما توجه إليه أسئلة وليدة اللحظة ، يقول التوحيدي:"**فلما عدت إلى المجلس قال : ماتحفظ من تِفعال و تَفعال؟ فقد إشتبها وفزعت إلى ابن عبيد الكاتب فلم يكن عنده مقنع ، وألقيت على مسكويه فلم يكن له فيها مطلع وهذا دليل على دثور الأدب وبوار العلم و الإعراض عن الكدح في طلبه "[2].**

إلا أننا نجده في أحيان أخرى يلجأ إلى التدوين ليسرد على الوزير بعض الآراء ويؤكد أنه أفرد أوراقا و تلاها على الوزير.

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ،ج1، ص90

[2] _ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 163

يقول في الليلة الثالثة والعشرين " **وكان الوزير رسم بكتابة لمع من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فأفردت ذلك في هذه الورقات**"[1] .

ويقول في ليلة أخرى "**عدنا إلى ماكنا فيه من حديث المماحة ، و كان قد استزادني فكتبت له هذه الورقات و قراها بين يديه**"[2].

4_3_ المتصرفة:

تمثل المتصرفة المصدر الثالث من مصادر السرد لدى التوحيدي وقد عرفها الجرجاني بكونها" **قوة ... من شأنها التصرف في الصور والمعاني و التركيب والتفصيل فتركب الصور بعضها ببعض ...وهذه القوة يستعملها العقل تارة والوهم أخرى وباعتبار الأول يسمى مفكرة لتصرفها في المواد الفكرية وباعتبار الثاني يسمى متخلية لتصرفها في الصور الخيالية**"[3].

وعلى هذا الأساس يمكن إعتبار المتصرفة كل ما تعلق بأقوال التوحيدي و تعليقاته التي كانت حاضرة على طول الليالي مع غلبة الجانب العقلي على الجانب التخيلي.

من خلال المصادر التي إعتمدها التوحيدي في محاوراته مع ابن العارض تبرز لنا شخصيته التي تنم عن رجل مثقف إمتاز بذكاء وقدرة على الحفظ مكنته من الصمود أمام شغف ابن العارض اللامتناهي ورغبته في المعرفة وطلب العلم ، كما تبينت لنا كذلك مميزات المثقف العربي في القرن الرابع الهجري ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الأدباء و الفلاسفة الذين عاصرهم التوحيدي ونقل عنهم حيث وجدنا جل مثقفي القرن الرابع

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج2 ، ص 221

[2] _ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 331

[3] _ سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ،ص165

الهجري يتميزون بقدرة كبيرة على الإستيعاب شكلت لديهم دخيرة معرفية و مخزونات نصية تتسع لمختلف المعارف وفي مختلف الإختصاصات.

إن هذا المخزون الضخم قد استغرق زمنا طويلا وتطلب جهدا كبيرا من خلال ملازمة الطلاب لشيوخهم ، فسمعوا منهم وأخدوا عنهم ويتضح ذلك جليا عند أبي حيان من خلال ملازمته لشيوخ وفلاسفة كأبي سعيد السيرافي و يحي بن عدي وابن النديم وغيرهم، وهذا مامكنه بعد ذلك من استحضار ما عنده وعرضه في مجلس الوزير،فوصوله إلى أعلى المراتب كان رهينا بقدرته على التحصيل ، وهذا ما جعل الطبقة المثقفة خلال القرن الرابع الهجري تتسم بطابع الموسوعية الذي يوضح الطابع الثقافي المؤسس على الشفاهية التي تجسد القيم المعرفية المتداولة في هذا القرن.

5.خصائص المروي في الإمتاع والمؤانسة:

شكلت الثقافة الموسوعية لدى التوحيدي، و التنوع المعرفي الذي كان يتمتع به تنوعا على المستوى المواضيع المسرودة فنجد الفلسفة ، المنطق و الأدب و الحكمة و الدين و النوادر وحكايات المجون لأن التوحيدي كان فيلسوفا ونحويا و شاعرا و فقيها ومعتزليا.

ومما زاد من تنوع مواضيع الليالي و توسيع النقاش و إثراءه لقاءه بابن العارض الذي كان يتمتع بدوره بقدر كبير من المعرفة مما أهله لأن يكون ندا لأبي حيان فشكل الحوار و الجدل أسلوب من أساليب الحوار و حاول كل منهما فرض آراءه من خلال تقديم الحجج و الأدلة الكافية.

سلك التوحيدي في مسامراته مسلك شهرزاد من حيث تقسيم الكتاب إلى ليال متتابعة لكن مايميزه هو اختتامه بما أطلق عليه ملحة الوداع و هي عادة ما تكون حديثا طريفا يختم به الجلسة عندما يشعر بالتعب و النعاس ، ويستخدم ملحة الوداع بعبارات مختلفة تدل على معنى واحد وهو إختتام المجلس يقول في الليلة الأولى "**هات ملحة الوداع حتى نفترق عنها ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث**"[1].

ويقول في الليلة الثانية " **هذا في الحسن نهاية و قد اكتهل الليل وهذا يحتاج إلى بدء زمان و تفريغ وإصغاء جديد : هات خاتمة المجلس**"[2].

ويقول في الليلة الخامسة" **هذا قدر كاف إلى أن تبيض الرسالة هات ملحة الوداع** "[3].

ويقول في الليلة التاسعة والعشرين" **هات حديثا يكون مقطعا للوداع ، فإن الليل قد عبس وجهه و جنح كاهله ،وأهى إلى العين سنة تسوق الذهن وتسبي الرأي**"[4]، ويقول في الليلة الأربعين" **هات ملحة المجلس**"[5].

لم ترد ملحة الوداع في كامل ليالي الإمتاع و المؤانسة إذ نجدها حاضرة في إثنتي عشرة ليلة هي :1،2،5،9،10،15،16،17،29،31،37،40

وغابت في باقي الليالي:3،4،6،7،8،11،12،13،14،18،19،20،21، 22،23،24،25،26،27، 28،30،32،33،34،35،36،38،39.

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ،ج1،ص28

[2] _ المصدر نفسه، ص 36

[3] _ المصدر نفسه ، ج1،ص56

[4] _ المصدر نفسه ، ج2،ص284

[5] _المصدر نفسه ، ج3 ،ص409

تنوعت مواضيع ملحة الوداع بين جد وهزل ونظم ونثر ففي الليلة السابعة وردت ملحة الوداع على شكل دعاء قال الوزير" **قد جرى هذا أيضا على التمام ، أختم مجلسنا بدعاء الصوفية ؟ فقال التوحيدي سمعت ابن سمعون يدعو في الجامع في آخر مجلسه فيقول : اللهم اجعل قولنا موصولا بالعمل وعملنا محققا للأمل ولا تضايقنا فيما تتحول به ، ونتقلب لك فيه،وكنف علينا بسترك، وسوغنا برك،وألهمنا شكرك، وخفف على أفواهنا ذكرك ، واخصصنا بعد ذلك بما هو أليق بذلك ، اللهم اسمع واستجب، وقرب وانصرفت**"[1].

أما ملحة الشعر فنجدها في الليالي:16،15،10،3،2.

قال الوزير في الليلة السادسة عشر" **إن** الليل قد دنا من فجره هات ملحة الوداع ،قلت : قال يعقوب صاحب(إصلاح المنطق)

دخل أعرابي الحمام فانشرح ، فأنشأ يقول :

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة	فرحت من الحمام غير مطهر
ترديت منه شاربا سج مرفقي	بفلسين إني بئس ما كان متجري
وما يحسن الأعراب في السوق مشية	فكيف ببيت من رخام ومرمر
يقول لي الأنباط إذ أنا نازل	به لا بظبي بالصريمه أعفر

وقال : حرس الله نفسه كنت أروي قافية هذا البيت "أعفرا" وهذه فائدة كنت عنها في ناحية ، وانصرفت"[2].

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج3 ، ص 379

[2] _ المصدر نفسه ، ج1،ص160

وملحة الجد نجدها في الليلة السابعة عشر عند حديثه عن علاقة الشريعة بالفلسفة قال الوزير" **هات فائدة الوداع ، فقد بلغت في المؤانسة غاية الإمتاع**"[1] فأجابه التوحيدي" **أكره أن اختم مثل هذه الفقرة الشريفة بما يشبه الهزل وينافي الجد ، فإذا أذنت رويت ما يكون أساسا و دعامة لم تقدم فقال هات ما أحببت فما عهدنا من روايتك إلا ما يشوقنا إلى رؤيتك**"[2].

وأطول ملحة جاءت في الليلة التاسعة والعشرين يقول الوزير" **هات مقطعا فإن الليل قد عبس وجهه و جنح كاهله ، و أهدى إلى العين سنة تسرق الذهن وتسبي الرأي**"[3].

فكان جواب التوحيدي حديثا طويلا عن فساد الناس وحؤول الزمن ، وما داهم الخاص والعام في الدين و تأثر الوزير لسماعه هذا الحديث فقال " **لقد شردت النوم من عيني و ملأت قلبي عجبا** "[4].

شكلت ملحة الوداع خاتمة الحديث الليلي حيث كان الوزير يتدخل عندما يبلغ التوحيدي غايته في الاسترسال في الحديث في وقت متأخر من الليل فيطلب منه حينئذ إنهاءه بحديث طريف يكون منفصلا عما سبق الحديث فيه و بهذا يدفع الملل والتعب عن المستمع.

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج1 ص 175

[2] _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] _ المصدر نفسه ،ج2،ص 284

[4] _ المصدر نفسه ، ج2، ص 285

6.الـــــراوي:

يمثل الراوي عنصرا أساسيا في العملية السردية إذ عن طريقه يتم نقل الأحداث و توصيلها إلى القارئ أو المستمع ، والذي يوصف بأنه " **الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة**"[1] ، وهو وسيلة يستخدمها الراوي ليكشف عن عالم روايته [2]، ويقوم بهذه المهمة السردية بطريقة موضوعية حتى وإن كان له رأي في تلك الحكاية و نهايتها، وهو " **كائن قصصي غريب الأطوار تبهرك حكمته، ويأسرك لسانه وتثيرك خبرته و يأسرك ذكاءه .. ثم لم يلبث أن يزرع في قلبك الشك فتراه مخادعا مراوغا مزيفا ....الراوي كائن لعوب يصمم الشكل الهندسي ثم يطمسه ، يبني المعنى ثم يهدمه ، يصقل الصورة ثم يهرسها ، ينظم الذرات الزمنية ثم يبعثرها ، يرتب المشاهد حسب منطق معين لا يلبث أن يبطله في غفلة من الشخصيات ومنك....خطره محدق دائما ، ومع ذلك فإن أطرف نماذج الرواة و أرقاها هو من يجعلك لا تثق به**"[3]

إعتبره بعض الباحثين شخصية من دم ولحم يأخذ القلم ليكتب قصة في حين فصله آخرون عن الكاتب الذي يخلق العالم القصصي و اعتبروه وسيلة من وسائل التعبير .

و التصور الأخير فيذهب إلى أن الراوي كائن شاهد على قصة فيرويها ، ومما لاشك فيه فإن الراوي ليس الكاتب ، و عن تداخلت الشخصيات معا في بعض الأحيان.

---

[1] ـ عبد الله إبراهيم ن السردية العربية،ص 19

[2] ـ آمنة بلعلى ، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق،ص29

[3] ـ عبد الوهاب الرفيق ، هند بن صالح ،أدبية الرحلة في رسالة الغفران، دار محمد علي الحامي ، الجمهورية التونسية ، الطبعة الأولى ، جانفي 1999 ص 37

وعلى الرغم من تعدد أنواع الرواة نلاحظ أن نصوص الإمتاع و المؤانسة اقتصرت على نوعين من الرواة : الراوي الغائب عن الحكاية التي يسردها و الراوي الحاضر في الرواية التي يسردها ، الأول الذي يروي حكاية غيره ويطلق عليه الراوي الغيري و نعني به الراوي الذي ينقل حكاية غيره و أحداثا هو غائب عنها ، و الثاني يحكي حكاية نفسه و يطلق عليها الراوي الذاتي لأنه يسرد أحداثا هو بطلها.

إستعان التوحيدي بشخصيات مختلفة في نصوصه ظهروا في أشكال مختلفة منهم ساردين أو متحدثين و ناقلين ورواة و قاصين و أصحاب ناذرة و مجون ومجانين يتباعدون عن غيرهم سلوكا و قولا ولكن لكل منهم موقع في السرد وينتهجون الترسل و الحديث و الروي كغيرهم، هؤلاء الرواة سواء كانوا بدلاء عن أبي حيان أو ظهروا كشخصيات معاصرة أو متقدمة يكثر عنها الإخبار و النقل ، يشتغلون غالبا في الحوار و المجادلة ليكون السرد متتاليا على هذا الأساس ، حيث نستمع إلى أبي سليمان المنطقي أو أبو سعيد السيرافي منقولا عنهما يقول التوحيدي"**و قد أملى علينا أبو سليمان كلاما في حديث النفس هذا موضعه ولا عذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمونا إلى غيره**"[1].

" وحكى لنا أبو سليمان قال :قيل لفيلسوف ما نال المريض إذا داواه الطبيب و دخل عليه فرح و قبل منه وكافأه على ذلك ، و الجاهل لا يفعل ذلك بالعالم إذا علمه وبين له؟ فقال لأن المريض عالم بما عند الطبيب، و ليس الجاهل كذلك لأنه لا يعلم ما عند العالم"[2].

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة،ج1ص 142

[2] _ المصدر نفسه ، ج2 ،ص188

يقوم المروي هنا على أساس السؤال و الإجابة و المناقشة و الإضافة فتتعدد الأصوات وتكثر للتعبير عن طبيعة الحياة التي كانت تزخر بالمناقشات و الحوارات و ترسم صورة لشخصية الراوي نفسه المولع بالمناقشة والمشغول بالحديث.

يظهر التوحيدي أحيانا شخصية راوية وحاكيا و مشاركا في السرد يقول " **وقد أحصينا _ ونحن جماعة من الكرخ _ أربعمائة و ستين جارية في الجانبين و مائة و عشرين حرة و خمسة و تسعين من الصبيان البدور، يجمعون بين الحذق و الحسن و الظرف و العشرة ، هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته و حرسه و رقبائه وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظافر بالفناء و بالضرب إلا إذا نشط في وقت أو ثمل في حال ، وخلع العذار في هوى قد حافه و أضناه و ترنم و أوقع ، وهز رأسه ، وصعد أنفاسه وأطرب جلاسه، و استكتمهم حاله ، وكشف عندهم حجابه، وادعى الثقة بهم ، و الإستنامة إلى حفاظهم**"[1].

ينوع التوحيدي في طرائق سرده فمرة نجده يسهب في الوصف و ذكر التفاصيل يقول"**فإنه إذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الأرض وتمرغ في التراب وهاج ، و أزبد ، وتعفر شعره ، وهات من رجالك من يضبطه ويمسكه، ومن يجسر على الدنو منه ، فإنه يعض بنابه ، ويخمش بظفره ، ويركل برجله ، ويخرق المرقعة قطعة قطعة ويلطم وجهه ألف لطمة في ساعة، ويخرج في العباءة كأنه عبد الرزاق المجنون صاحب الكيل في جيرانك بباب الطاق**"[2] .

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج2 ص 279

[2] _ المصدر نفسه ، ج2 ،ص268

إن هذا الوصف الدقيق يوحي بأن التوحيدي عارف بالسكان و أحوالهم و ملم بأحوال بغداد و محيط برغبات الجمع يقول في حديثه عن طرب ابن حجاج على غناء قنوة البصرية وهي جارته وعشيقته يقول عنه أنه " **له معها أحاديث و مع زوجها أعاجيب و هناك مكابدات و رمي ومعايرات**"[1] .

ونجده أحيانا يكف عن ذكر التفاصيل في حديثه عن حبابة و أختها صبابة و يلجأ التوحيدي إلى التصريح و الجهر بآرائه دون خوف من سلطة الوزير ، ففي الليلة الثالثة طلب من الوزير أن ينقل ما سمعه عن الجماعة التي كان يزورها أبو سليمان لكن التوحيدي اعتذر قائلا " **سمعت أشياء و لست أحب أن أسم نفسي بنقل الحديث و إعادة الحوال فأكون غامزا و ساعيا و مفسدا**"[2].

إن حرية الإدلاء بالرأي مضمونة ما دامت لاتمس الوزير فإذا حدث العكس نجد التوحيدي يلجأ إلى الحيلة حتى يتجنب إغضابه ، وهنا تكمن قدرة الراوي في توجيه مسار الحديث و ذكاءه الحاد ، ففي حين يبدو في بادئ الأمر خاضعا لأوامر الوزير و أبي الوفاء المهندس نلحظه في متن الخطاب متحررا قادرا على المراوغة و التحايل من أجل تمرير آراءه.

لقد كان التوحيدي مراوغا في إجاباته و أحيانا يتقنع و يستعين برواة آخرين ليمرر آراءه للوزير فعندما سأله الوزير في الليلة السادسة إذا كان يفضل العرب أم العجم إستعان برأي ابن المقفع كراوية محاولا المراوغة يقول"**قبل أن أحلم بشيء من تلقاء**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج2 ،ص 271

[2] _ المصدر نفسه ،ج1،ص 37

نفسي أروي كلاما لابن المقفع"[1]. وهو بذلك يضمن رأيه في كلام ابن المقفع فإن استحسنه الوزير سيصارحه برأيه و إن استهجنه فإنه لن ينال العقاب.

وقد استعان التوحيدي بروايه شيب بن شيبة تاركا للوزير حرية إستنباط رأيه من إجابته حول المفاضلة بين أمة و أخرى دون أن يعلق رأيه صراحة و المتمثل في كون العرب أفضل الأمم و أعقلها.

و يبدو أن رأي التوحيدي هو نفسه رأي ابن المقفع لهذا تعمد استخدامه ليتوارى من خلاله ،لكن الوزير لم يقتنع و تنبه إلى حيلة التوحيدي و طالبه برأيه و استنتاجه ، وبمعنى آخر إن العملية الإستنتاجية التي أراد التوحيدي توجيهها إليه أعادها إليه (الوزير) بحيلة منه قائلا" **ما أحسن ما قال ابن المقفع ! و ما أحسن ما قصصته و ما أتتيت به ! هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبط"**[2].

تتعدد أصوات الرواة لدى التوحيدي، هذا التعدد يعطيه حرية في السرد ، حيث تسعفه منقولاته المراوغة في الحديث ليكون أكثر استقرارا، وترد مثل هذه المراوغات في الليلة الثامنة والثلاثين و التي ينقلها عن أبي علي الحسن بن علي القاضي التنوخي فهو الراوي الأول للحديث و الراوي الثاني هو التوحيدي.

إستعار التوحيدي رواية التنوخي من أجل تبليغ خشيته للوزير من سوء المنافقين ويقصد بهم ابن يوسف عبد العزيز جليس عضد الدولة ، يقول التوحيدي"**قلت حدثني**

[1] _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ص 57

[2] _ المصدر نفسه ، ج1،ص59

أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي قال...."[1]، فهو هنا منذ الوهلة الأولى يصرح أنه يروي الحديث عن راو آخر و لذلك فكل الآراء ستنسب إليه.

أمر عضد الدولة ابن شاهويه أن يبلغ ابن حرنبار أبا محمد " **ينبغي ان تسير إلى البصرة، و إنا نجعل لك فيها معونة فقد طال مقامك عندنا، وتوالى تبرمنا بك ، و تبرمك بنا ، وليس لك بحضرتنا ما تحبه و تقترحه ، والسلامة لك في بعدك عنا قبل أن يفضي ذلك إلى تغيرنا "**[2] ، فكان رد أبي محمد " **الأمر للملك و لا خلاف عليه ، ولعمري إن الناس بجدودهم ينالون حظوظهم وبحظوظهم يستديمون جدودهم"**[3].

يجيب ابن حرنبار مراوغا ، فهو من جهة راض بقرار الملك ومن جهة ثانية يبث شكواه من خلال المقارنة بغيره الذين يقلون عنه مكانة و حضورا نسبيا فيبطن نقده للملك من خلال المراوغة و الإلتفاف يقول :" **ولكن أيها الشيخ لي حاجة : أريد أن تبلغ الملك حاجة عني قال : هاتها ، قال : تقول له أنا صائر إلى ما رسمت و ممتثل ما أمرت بعد أن تقضي لي وطرا في نفسي، قد تقطع عليه نفسي، و ذاك أن تتقدم فيُقامُ عبد العزيز بن يوسف بين إثنين فيصفعانه مائتين و يقولان له إذا لم تبذُل جاهك لمتلهف ، ولا عندك فرج لمكروب ، ولا بر لضعيف ، ولا عطاء لسائل و لاجائزة لشاعر ، ولا مرعى لمنتجع ، ولا مأوى لضيف ، فلمَ تُخاطَبُ بسيدنا ، وتُقبلُ لك اليد ، و يقام لك إذا طلعت"**[4].

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع و المؤانسة ، ج3، ص380

[2] _ صدر نفسه ،الصفحة نفسها

[3] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] _ المصدر نفسه ، ج3 ص 380.

فاستجاب ابن شاهويه لطلبه ، لكنه تردد حياء قبل أن ينقل رسالته إلى عضد الدولة لأنه عندما حضر كان يوسف قاعدا بين يدي الملك ، لكن الملك استعجله في سردها قال"**هات يا هذا الحديث بفصه ، فوالله لا أقنع إلا به ، ما هذا التواني والتكاسل**"[1]، فيسرد ابن شاهويه الحديث بكل تفاصيله يقول "**فكرهت اللجاج ، فسردته على وجهه و لم أغادرمنه حرفا و ابن يوسف يتقدد في إهابه ، ويتغير وجهه عند كل لفظة تمر به، فأقبل عليه الملك و قال : كيف ترى يا أبا القاسم الكيس ، فقال : يا مولانا إنا أن أقضي الحاجة بك ، فإذا لم تقضها كيف أكون فإن الحوائج كلها إليك**"[2].

ويظهر التوحيدي بموقف الملك من ابن يوسف و كأنه وصل إلى الغرض المقصود من وراء روايته هذه حين أعرب في نهاية الحديث للوزير عن صدق تصرف الملك قائلا " **وصدق_ صدّق الله قوله _ فإنه كان أخس خلق الله و أنتن الناس، و أقذر الناس، لا منظَرَ و لا مخبرَ**"[3].

كما أن الوزير قد توصل إلى فهم قصد أبي حيان من إيراد الحديث ، فيقول "**ماكان هذا الحديث عندي ، وإنه لمن الغريب**"[4]

لقد كان هدف التوحيدي من وراء مراوغته في سرد مثل هذا الحديث يهدف إلى تعريف الوزير بسوء نوايا الأتباع عن طريق جعله يشارك في خطاباته و يبني استنتاجاته بالربط بين سياق الحديث و هنا تتأكد نية التوحيدي في جعل المستمع يشترك في السرد من خلال الأحاديث التي يوجهها إليه.

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ص381

[2] _المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] _ لمصدر نفسها، ج3 ص 381.

[4] _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن التوحيدي قد نوع في أساليب سرده للأحاديث التي دارت بينه و بين الوزير و كان يهدف إلى توصيل الخطاب بالصورة التي أرادها كل من الوزير و أبو الوفاء المهندس حتى لا ينال العقاب و يحافظ على مكانته التي تبوأها في المجلس .

7.الفضـــــــاء:

يعد الفضاء عنصرا من عناصر البنية السردية ، وقد اجتهد الباحثون في إيجاد مفهوم محدد له ، إلا أن الآراء اختلفت فمنهم من إقترح مصطلح المكان ، ومنهم من إقترح مصطلح الحيز معتمدين في ذلك على المعنى اللغوي ، حيث تحيل لفظة الفضاء إلى " **المكان الواسع من الأرض ، وقد فضى المكان و أفضى إذ إتسع ، و أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه ، و أصله أنه صار في فرجته و فضائه وحيزه**"[1]، فالفضاء هنا هو المكان أو الحيز الممتد الذي لا يشغله شيء.

أما إصطلاحا فقد بدأ تداول مصطلح الفضاء في العصر الحديث وهو مرادف لكلمة Espace الفرنسية ، وكلمة Space الإنجليزية ، و إلى عهد قريب كان مصطلح الفصاء معادلا للمكان في مفهومه الشاسع على الرغم من أن الفلاسفة قد حاولوا الفصل بين المصطلحين (الفضاء ، المكان) .

لقد حاول الدارسون فيما بعد التمييز بين مصطلحي الفضاء والمكان ، ذلك أن الفصاء أوسع من المكان وهذا ما ذهب إليه حميد لحميداني حيث يرى أن" **الفضاء و أشمل و أوسع من معنى المكان ، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء**"[2].

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 2000، المجلد2ص 194

[2] _ حميد لحميداني ، بنية النص السردي ،ص63

إذن فالمكان جزء والفضاء كل ، والأمكنة المتفرقة المذكورة في النص تجتمع لتشكل فضاء هذا النص.

ونظرا لتعدد المفاهيم تعددت الفضاءات ،فنجد الفضاء الجغرافي ، الفضاء النصي ، الفضاء الدلالي ، الفضاء كمنظور.....إلخ.

وسنحاول في دراستنا للفضاء في كتاب الإمتاع و المؤانسة التركيز على الفضاء الجغرافي و الفضاء النصي.

1. الفضاء الجغرافي:

أفضى التداخل الحاصل بين مفهومي الفضاء و المكان إلى ظهور مصطلح الفضاء الجغرافي، و هو الحيز ا لمكاني في الحكي وهو " **ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها**"[1].

ويتسع مفهوم الفضاء ليشمل البنية التي تعيش فيها الشخصيات و ما احتوت عليه من قطع الآثاث و الديكور و الأدوات كافة بمختلف أنواعها و استعمالاتها ، كما يشتمل الوقت من اليوم و مايترتب عليه من أضواء مختلفة أو ظلمة أو طقس بكل أحواله و الأصوات و الروائح[2].

لقد ارتبطت دراسة الفضاء بالتحليل الروائي أساسا لكون الفضاء المكان الذي تجري فيه الأحداث ، ولابد لأي حدث من إطار يشمله و يجعله حدثا قابلا للوقوع ، ويأخذ

[1] _ حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي ، ط1، 1990 ،ص28

[2] _ عمر عبد الواحد ، السرد و الشفاهية ن دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني ، دار الهدى للنشر و التوزيع ط2 ، ص 37

الحدث حجمه الحقيقي إستنادا لسعة المكان أو ضيقه ، كما أن المكان يعود على الحديث بالقيمة الإجتماعية التي ترتبط به و يحمله من الشحنات العاطفية التي تصاحبه.

و إذا كان هناك من يعتقد أن بالإمكان دراسة الفضاء أو المكان مستقلا عن المضمون فإن جوليا كريستيفا ترى أن الفضاء حين يتشكل من خلال العالم القصصي " **فهو يحمل جميع الدلالات الملازمة له و التي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسرد ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم وهو مانسميه "إديولوجيم" العصر"**[1].

و إذا نظرنا إلى زمن القرن الرابع الهجري نلاحظ ظهور نوع جديد من الأدب هو أدب المجالس ، ويسمى بأدب المجالس نسبة إلى الفضاء الذي كانت تدور فيه المسامرات ، ويمثل أدب المجالس أداة من أدوات التنظيم المركزي للمعرفة و قناة من قنوات تبادلها ، و المجلس هو "**الفضاء الثقافي العربي الأساسي الذي تم فيه إنتاج الكلام العربي القابل للتداول و النقل و الإستمرار**"[2]، وعلى هذا الأساس يصبح المجلس الفضاء الخاص بالإنتاج و التلقي .

وتتنوع المجالس بتنوع الفئات الإجتماعية المشكلة لها كما يتنوع زمان انعقادها و الكلام الذي يدور بداخلها ويمكننا أن نميز بين مجالس خاصة و مجالس عامة ، ومجالس علنية و أخرى سرية ، ونجد في كتب الأدب المختلفة شهادات حية عن أنواع عن مجالس الأمراء و الولاة و الأدباء و الشعراء و العلماء ، ولكل مجلس من هذه المجالس خصوصيته التي تميزه عن غيره من المجالس و نذكر على سبيل المثال لا الحصر ألف ليلة وليلة ،

---

[1] ـ حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 1991 ، ص 54

[2] ـ سعيد يقطين ، الكلام و الخبر، ص 213

و مائة ليلة وليلة ، بل إن بعض هذه المصنفات ليس سوى تدوين و تقييد لما جرى في هذه المجالس كما نجد ذلك واضحا في الإمتاع و المؤانسة.

وإذا نظرنا إلى زمن إنعقاد هذه المجالس نجد أن هناك نوعين من المجالس مجالس ليلية و أخرى نهارية يعقدها الخواص و العوام على السواء و تتنوع فضاءاتها من القصور إلى البيوت ، الساحات ، الأسواق و المجالس.

كما نجد أن المجالس تتنوع بتنوع الكلام الذي كان يدور داخلها فهناك مجالس ذكر، ومجالس خمر، ومجالس أخبار و أشعار و أحاديث ، وقد كان أصحاب هذه المجالس يتنافسون لجعل مجالسهم أفضل و أرقى من غيرها.

انتشرت هذه المجالس على مدار الحقب الزمنية المختلفة و اتسمت بسمات حضارية خاصة ، وتنوعت هذه المجالس من مجالس للخواص اتسمت بالجد و إن شابها هزل فهو أميل للجد و مجالس للعامة اتسمت بالهزل و الخرافات.

تتسم هذه المجالس رغم تنوعها _بسمة خاصة _ و هي الإستمرارية فالمجلس لا ينتهي بتفرق الجلساء لأنه يستأنف لاحقا و هذا ما يعطيه صفة الديمومة و يظهر ذلك جليا من خلال كتاب الإمتاع و المؤانسة الذي يعرض مادة كتابه في حوالي أربعين مجلسا متواصلا[1].

إن المجلس كفضاء مكاني يمكن النظر إليه من خلال مظاهره الفيزيائية البحتة ، هل هو مغلق أو مفتوح ، عام أو خاص ، واسع أو ضيق ، كيف يظهر التنظيم المكاني و كيف هي هيئة المشاركين ، وجها لوجه ، جنبا لجنب .....و هذا ما دفع البعض إلى تحديد عدة و ضعيات يتشكل من خلالها المجلس.

[1] _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ج2، ص 216

الوضعية الأولى :

وضعية الدوران:

وفيها يتحلق المتلقون مع الراوي ، وسميت بالحلقة لتدل على جماعة من المتلقين يشتركون في هم واحد و يتداخلون فيما بينهم ، تربطهم بالراوي أو ببعضهم البعض روابط عصبية أو فكرية أو دينية أو علمية وهي وضعية فطرية لا تحتاج إلى إعداد مسبق كما هو الحال في الأوضاع الأخرى.

ولوضعية الدوران هذه ميزتين : فهي موحدة لجماعة المتلقين و مفرقة في آن واحد ، تستقطب الآخر المتوافق مع توجهات الحلقة و إهتماماتها و تقصي غير المؤتلف عنها بأمر من السارد و تتكاثر الحلقة تلقائيا وإن حصل اختلاف مع أحد المتلقين تتشعب إلى حلقات متعددة.

وللحلقة شكلان : أحدهما أن يكون السارد أو الراوي مكملا لأجزاء الحلقة مع المتلقين، وثانيهما أن يكون السارد وسط الحلقة.[1]

الوضعية الثانية:

المتلقي متوجه إلى الراوي:

في هذه الحالة يكون الراوي هو المتحكم في السرد و المجلس لأنه متمتع بسلطة المكان المرتفع الذي يعتبر المكان المناسب الذي يتيح للآخرين فرصة مشاهدته بصورة تامة ، وعادة ما يكون المتلقون من عامة الناس ، لأنه من غير المعقول أن يكون الخليفة في وضع أسفل من السارد أو الراوي.

[1] _علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، دراسة في التجليات الدرامية في السرد العربي القديم ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،الغرب ط1، 2003 ، ص263

الوضعية الثالثة :

الراوي متوجه إلى المتلقي:

تكثر هذه الصورة في المجالس الخاصة ، عندما يكون المتلقي خليفة أو وزيرا ، وممن الطبيعي أن يكون المتلقي في مكان أعلى من الراوي ، ويكون هو المتحكم في السرد ، فبدل أن يكون المتلقي متجها إلى الراوي يكون العكس.

الوضعية الرابعة:

المناظرات:

و هو شكل آخر من المجالس الخاصة تنقسم فيه جماعة المتلقين إلى قسمين ، متلقون يؤيدون السارد الأول ، و متلقون يؤيدون السارد الثاني ، وهناك من المتلقين من هم محايدين يؤيدون تارة السارد الأول و تارة الآخر حسب الحجج الأكثر منطقية.[1]

كان المجلس يمثل أداة من أدوات التنظييم المركزي للمعرفة و قناة من قنوات تبادلها ور بما إختار التوحيدي هذا النمط كإطار سردي لمختلف محادثاته يرجع إلى كون القرن الرابع الهجري شهد حالة من التشبع وفق النهج الذي سار عليه كتاب الأدب كالجاحظ و ابن قتيبة و المبرد و ابن عبد ربه..... ، فرأى أبو حيان ألا يبقى حبيس هذا المسلك و أدرك بحسه المرهف و بمعرفته العميقة و إصغاءه لروح العصر أن عليه تطوير شكل و أسلوب و إطار الكتابة و تجديد نفسها فكان المجلس الأدبي .

مثل المجلس الفضاء الذي دارت فيه مسامرات التوحيدي مع الوزير ابن العارض ، وإذا أردنا تحديد معالم هذا المجلس لا نجد أية إشارة تحدد خصوصيته ، كما لا يمكن تحديدها من خلال العلاقة التي جمعت التوحيدي بابن العارض ، على أن المجلس يمكن أن يحدد في

[1] ـ علي بن تميم ، السرد والدرامية ، ص 269

فضاء غرفة أو قاعة يستقبل فيها الوزير ندماءه.ويمكننا تحديد شكل المجلس بحسب نوعية الأفراد المكونين له .

تأسس مجلس الإمتاع و المؤانسة نتيجة العقد المبرم بين أبي حيان التوحيدي و الوزير ابن العارض و بالنظر إلى مكانة الوزير الإجتماعية فإن مجلسه سيأخذ شكلا خاصا من أجل إبراز مكانته المتميزة مقارنة بالتوحيدي و بقية ندماءه.

إن الوضعية الملائمة التي يمكن أن يكون عليها مجلس ابن العارض هي الوضعية الثالثة التي سبق ذكرها و التي يكون فيها الراوي متوجها إلى المتلقي الذي عادة ما يكون خليفة أو وزيرا و هو الحال في هذا المجلس ، فالتوحيدي متوجه إلى الوزير المتحكم في السرد كما يظهر ذلك جليا من خلال الشروط التي وضعها في اليلة الأولى من الإمتاع والمؤانسة ، هذه الشروط جعلت التوحيدي يقع في نوع من العبودية بسبب القيود المفروضة عليه وهذا ما دفعه لطلب الإذن من أجل التخلص من بعض الشكليات التي كانت جوهرية و لها أثرها على نفسيته ، يقول التوحيدي "**يؤذن لي في كاف المخاطبة ، وتاء المواجهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكناية و مضايقة التعريض ، و أركب جدد القول من غير تقية و لا تحاش و لا محاباة و انحياش**"[1].

أشار التوحيدي إلى الإطار المكاني من خلال وظيفته العلمية و الإجتماعية فهو يرى أن القاص أو المتحدث يجب أن ينهض بسهام صعبة لأنه يتوجه إلى أصناف من العامة منها الجاهلة ، ومنها العالمة ، لدى يجب أن يحظى بنصيب من التكوين الفكري الثري يقول "**إن التصدي للعامة خلوقة ، وطلب الرفعة بينهم صنعة ، والتسبه بهم نقيصة و ما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه و علمه و عمله و لثته ونفاقه ورياءه أكثر**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ،ج1، ص 23

مما يأخذ منهم من إجلالهم و قبولهم و عطائهم و بذلهم و ليس يقف على القاص إلا أحد ثلاثة :إما رجل أبله فهو يزدريه لتعرضه لجهل الجهال ،وإما له نسبة إلى الخاصة من وجه و إلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب من الأنكار الجالب للهجر و الاعتراف الجالب للوصل"[1].

كما أشار إلى المسافة التي تفصل المتحدث في المجلس العام عن الخاص ، وقد تعقدت مهام القاص بسبب مكانة المستمع الإجتماعية و الثقافية و أثرها على العلاقة بين المتحدث و المتلقي يقول:"**القاص حينئذ ينظر إلى تفريغ الزمان لمداراة الطوائف و حينئذ ينسلخ من مهماته النفسية و أذاته العقلية و ينقطع من الإزدياد من الحكمة لمجالسة أهل الحكمة إما مقتبسا منهم و إما قابسا لهم ، و على ذلك رأيت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما و إلا دينارا أو ثوبا و مناصبة شديدة لماثليه و عداته"**[2].

2. الفضاء النصي:

ظهرت عدة دراسات تناولت الفضاء النصي بالتحليل إنطلاقا من كونه "**الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها بإعتبارها أحرفا طباعية على مسار الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع ، وتنظيم الفصول ، وتغيير الكتابة المطبعية و تشكيل العناوين وغيرها**"[3].

إن الإهتمام بكل التفاصيل التي يقع عليها البصر يسمح بوجود قراءات مختلفة تتعدد بتعدد القراء لأن الفعل القرائي "**ذوبان في علم الفضاء ،بدءا من العين و مرورا بالمكان**

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ،ج1، ص 160

[2] _ المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

[3] _ ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطوانيس ، منشورات عويدات ، بيروت الطبعة2، 1982، ص 112

ـ سطح الورقة أو مكان النص ـ وسيرا عبر أزمنة متعاقبة وانتهاء بالذاكرة القرائية أثناء القراءة" وهذا يعني أن إستجابة القارئ و تفاعله مع النص تختلف من شخص لآخر، وقد ذهب حميد لحميداني للقول أن " **الفضاء النصي هو أيضا فضاء مكاني ، لأنه لا يتشكل إلا عبرالمساحة ،مساحة الكتاب و أبعاده ، غير أنه مكان محدود و لا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال ، فهو مكان تتحرك فيه على الأصح عين القارئ، هو إذن بكل بساطة ففضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"**[1].

وبالرغم من أن الفضاء النصي لا يرتبط بمضمون الحكي إلا " **أنه يحدد أحيانا طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي أو الحكائي عموما وقد يوجه القارئ إلى فهم خاص للعمل"**[2].

وقد اهتم ميشال بوتور بالفضاء النصي إهتماما كبيرا و لم يقتصر على الرواية فقط و إنما توصل إلى إعطاء تعريف هندسي خالص للكتاب ، فهو يرى أن الكتاب "**هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر ،وعلو الصفحة و سمك الصفحات"**[3] ، كما أشار إلى مجموعة من المظاهر التي تشكل فضاء النص ، كالكتابة الأفقية ، الكتابة العمودية ، الهوامش ، الرسوم و الأشكال ، الصفحة ضمن الصفحة ، ألواح الكتابة ، الفهارس[4] ، وأضاف عبد الرحيم مراشدة مظهرا آخر إعتبره استثمارا للفضاء النصي و هو التعلق بالشكل "**فتداخل الأجناس الأدبية مع**

---

[1] ـ حميد لحميداني ، بنية النص السردي، ص 56

[2] ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] ـ ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، 112

[4] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ص ص 128، 129

بعضها خاصة في العصر الحديث يشي بتداخل الفضاءات النصية المثارة في النصوص"[1]. و الوقوف على كل مظهر من هذه المظاهر قد يسهم في فك شفرات النص.

سنحاول فيما يلي دراسة الفضاء النصي في كتاب الإمتاع و المؤانسة ، هذا الفضاء هو بالضرورة يختلف عن ذلك الفضاء الذي أنشأه التوحيدي في نسخته التي خطها بيده وقدمها إلى صديقه أبي الوفاء المهندس .

إن النسخة المعتمدة في هذه الدراسة هي النسخة الصادرة عن دار الكتب العلمية ، بيروت و التي قام بتصحيحها و ضبطها خليل منصور ، جاءت هذه النسخة في مجلد واحد ضم الفصول الثلاثة على امتداد 430 صفحة ، افتتحت بمقدمة تلاها تعريف موجز بأبي حيان التوحيدي ثم جاء نص التوحيدي الذي افتتحه بمقدمته التي وجهها لأبي الوفاء المهندس، وفيما يلي جدول يوضح تقسيم الكتاب:

أقسام الكتاب	عدد الصفحات
مقدمة الطبعة	2 صفحة
التعريف بالمؤلف	2 صفحة
إفتتاحية الكتاب	13 صفحة
الجزء الأول	138 صفحة
الجزء الثاني	127

[1] ـ عبد الرحيم مراشدة ، الفضاء الروائي ، عمان وزارة الثقافة ، 2002 ، ص 65

	صفحة
الجزء الثالث	137 صفحة
الفهرس	2 صفحة

إن فكرة جمع الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد هي طريقة عملية، فهي تسمح للقارئ باقتناء كتاب واحد بدلا من اقتناء ثلاثة أجزاء ومن الناحية النفسية قد لا تجعله يتكاسل كلما فكر أنه إذا أراد الإطلاع على مضمون ليالي الإمتاع والمؤانسة عليه بقراء ثلاثة أجزاء كاملة.

جاءت الليالي موزعة على صفحات الكتاب في ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

الليالي	الجزء الأول	الجزء الثاني	الجزء الثالث
عدد الليالي	16 ليلة	15 ليلة	9 ليالي
تحديدها	من الليلة 1 إلى 16	من الليلة 17 إلى 31	من الليلة 31 إلى 40
عدد صفحاتها	138 صفحة	127 صفحة	137 صفحة

و الملاحظ هو إختفاء الليلتين الحادية عشر و الثانية عشر ، وقد ذكر التوحيدي في الليلة العشرة ص138 السطر الثاني أنه قص هذا الفصل في ليلتين (العاشرة والحادية عشر) أي أن الليلة التي تلي يكون رقمها إثنا عشر و ليس ثلاثة عشر ،وربما يرجع هذا الإختلاف

إلى المسافة الزمانية و المكانية التي تفصل بين الشفائي والكتابي وهذا ماسبق توضيحه أثناء الحديث عن الإمتاع و المؤانسة بين الكتابة و الشفاهية.

	رقم الليلة	مجال الصفحات (من ــ إلى)	عدد الصفحات
الجزء الأول يضم الجزء الأول حسب الترقيم 16 ليلة يبدأ من الصفحة الصفحة الأولى إلى الصفحة 160 مع عدم وجود الليلتين 12 و13 أي أن إجمالي عدد الليالي هو 14 ليلة فقط	**1**	28_22	7صفحات
	2	36_29	8
	3	42_37	6
	4	53_43	11
	5	56_54	3
	6	73_57	17
	7	79_74	6
	8	104_80	25
	9	114_105	10
	10	139_115	25
	11	غير موجودة	
	12		
	13	145_140	6
	14	153_146	8
	15	157_154	4
	16	160_158	3
الجزء الثاني -يفتتح هذا الجزء بمقدمة في صفحة	**17**	192_162	31
	18	200_193	8
	19	206_201	6

واحدة ويضم خمسة عشرة ليلة يبدأ من الصفحة 162وينتهي عند الصفحة 291	**20**	215_207	9
	21	215_214	2
	22	220_216	5
	23	229_221	30
	24	246_230	17
	25	255_247	10
	26	260_256	5
	27	266_261	6
	28	281_267	14
	29	285_282	4
	30	288_286	3
	31	291_289	3
الجزء الثالث -يفتتح هذا الجزء بتكملة لليلة الواحدة والثلاثون ويضم 9ليال تبدأ من االصفحة393 وتنتهي عند الصفحة 414 -يتضمن هذا الجزء أيضا رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير (من ص 414_ ص424) -ختم المؤلف الكتاب برسالة في شكوى البؤس والشقاء موجهة إلى أبي الوفاء المهندس (من ص424_ص426)	**تكملة 31**	306_393	14
	32	330_307	24
	33	342_331	12
	34	354_342	13
	35	366_355	12
	36	367	1
	37	379_368	12
	38	388_380	9
	39	401_389	13
	40	414_402	13

استغلت صفحات الكتاب بشكل عادي ،بواسطة كتابة أفقية تبتدئ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، حيث تبدو الصفحات مشحونة من أعلاها إلى أسفلها "**وقد تعطي هذه الطريقة في الكتابة الإنطباع بتزاحم الأحداث أو الأفكار في ذهن البطل الرئيسي في النص الروائي أو القصصي**"[1]،وهذا ما ينطبق على أبي حيان التوحيدي الذي يتميز بثقافة موسوعية حاول إستعراض جزء منها في مسامراته مع الوزير.

ونجد صفحات أخرى فيها امتزاج بين الكتابة الأفقية و الكتابة العمودية لاحتواءها على أبيات شعرية وهو مايضيف إستثمارا آخر للفضاء النصي " **فتداخل الأجناس الأدبية مع بعضها خاصة في العصرالحديث يشي بتداخل الفضاءات النصية المثارة في النصوص**"[2]، وهذا ما نجده حاضرا في ليالي الإمتاع و المؤانسة حيث لا تخلو الليالي من هذا التداخل بين الشعر والنثر لكن بنسب متفاوتة ،إذ نجد ليال تغلب على صفحاتها الكتابة العمودية أكثر من الأفقية كالليلة الثامنة والعشرون و الليلة الثانية والثلاثون ويرجع هذا إلى طبيعة المواضيع المطروحة للنقاش في هاتين الليلتين ، في الليلة الثامنة والعشرون كان الحديث يدور حول بعض المعارف و المعتقدات الشعبية ، أما في الليلة الثانية و الثلاثون فكان الحديث عن الشعر الشعبي الخاص بالطعام والضيافة ،أحاديث عن الأطعمة الشعبية ، عادات العرب في المأكل و الأواني .كما نجد ليال أخرى تكاد تنعدم فيها الكتابة العمودية .

[1] _حميد لحميداني ،بنية النص السردي،ص56

[2] _ عبد الرحيم مراشدة ، الفضاء الروائي ، ص 65

كان البياض حاضرا في صفحات الإمتاع والمؤانسة ،والذي "**يعلن عادة عن نهاية فصل أو نقطة محدودة في الزمان و المكان**"[1]حيث نجده عند نهاية كل ليلة بمثابة الفاصل بينها ، وتختلف مساحة البياض من ليلة لأخرى بحسب مضمون الليالي و المساحة التي يشغلها على الورق.

كما نجد البياض أيضا في نهاية الجزء الثاني ، حيث جاء صفحة كاملة (ص 292).وفي ما يلي جدول يوضح الصفحات المشتملة على البياض:

الصفحات التي احتوت على بياض	دلالة البياض
6	نهاية المقدمة
8	نهايةالتعريف بالتوحيدي
21	نهاية مقدمة التوحيدي
28	نهاية الليلة 1
42	نهاية الليلة 3
53	نهاية الليلة 4
56	نهاية الليلة 5
73	نهاية الليلة 6
79	نهاية الليلة 7
104	نهاية الليلة 8
114	نهاية الليلة 9

[1] ـ حميد لحميداني ، بنية النص السردي ص58

145	نهاية الليلة 13
153	نهاية الليلة 14
193	نهاية الليلة 17
200	نهاية الليلة 18
215	نهاية الليلة 21
220	نهاية الليلة 22
229	نهاية الليلة 23
246	نهاية الليلة 24
260	نهاية الليلة 26
281	نهاية الليلة 28
285	نهاية الليلة 29
288	نهاية الليلة 30
291 _292	نهاية الجزء الثاني
306	نهاية الليلة 31
330	نهاية الليلة 32
342	نهاية الليلة 33
354	نهاية الليلة 34
366	نهاية الليلة 35
367	نهاية الليلة 36

379	نهاية الليلة 37
388	نهاية الليلة 38

ما يلاحظ أيضا على صفحات الكتاب هو ذلك الحيز الكبير الذي خصصه مصحح هذه النسخة للتهميش ، حيث تصادفنا صفحات كثيرة نجد فيها المساحة المخصصة للهامش في الصفحة الواحدة تساوي أو تفوق تلك المخصصة لنص الليالي وهذا ما نلحظه في مقدمة التوحيدي صفحة 11، الصفحة 139 حيث تفوق مساحة الهامش المساحة المخصصة للنص الأصلي ، وهكذا الحال في العديد من صفحات الكتاب (الصفحات 24،18،28، 31، 63، 65، 139)، ويمكن أن نرجع هذا إلى بعد الفاصل الزمني بين عصر تأليف الكتاب (ق4هـ) وعصرنا الحالي ، فقد يستعصي على قارئ هذا العصر فهم الكثير من المفردات التي لم تعد موظفة في لغته اليومية وهذا ما ذهب إليه مصحح الكتاب في مقدمته " **ولقد عملنا في هذا الكتاب على تفسير الغريب و شرح المشكل من مفرداته إما لأنها معربة ،أو لبعد الفترة الزمنية بيننا و بين عصر أبي حيان، وشرح المشكل من عبارته ، و إثبات مكان الساقط من مفرداته مفردات تناسب السياق ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء و الشعراء والفلاسفة ، و تخريج الآيات القرآنية التي ورد ذكرها فيه ليسهل تناوله من قبل الباحثين** "[1]

لهذا كان لابد من إعطاء مساحة كافية للهوامش لتتسع لكل هذا الشرح والتفسير.

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ص6

8.الزمـــــــــن:

يعد الزمن من المكونات الهامة في العملية السردية ، فهو عمدة القص و عصب نظمه، وقد قسم الزمن إلى ضروب شتى منها أزمنة داخلية كزمن الحكاية و زمن الخطاب ، و أخرى خارجية كزمن الكتابة ، وزمن القراءة.

يمثل زمن الحكاية المدة التي يستغرقها وقوع الأحداث المروية ، في حين يقاس زمن الخطاب بحركة القص فقد يطوي الراوي أحداث سنة كاملة (زمن الأحداث) في فقرة يكتبها في ساعتين (زمن الكتابة) لتقرأ في دقيقتين (زمن القراءة) كما يمكن أن يسرد في كتاب ما حدث في ساعة و يقرأ في يوم كامل أو أكثر ولا يكون التطابق بين زمن الخطاب و زمن الأحداث متساويا إلا في الحوار عندما ينقل لنا الراوي الأحداث و هي تقع أو كما وقعت بالضبط.

هناك من ربط هذه الأزمنة بالبنية الثلاثية للدليل الغوي ، يقول أحمد الغرملي " **إستنادا إلى البنية الثلاثية للدليل اللغوي ، المتركبة من الدال ولامدلول و المرجع ، يمكن ربط الأزمنة الثلاثة التي يتأطر فيها النص السردي ببعضها ضمن بنية ثلاثية يقوم فيها كل زمن منها مقام مكون من مكونات الدليل ، فزمن الخطاب هو الدال لأنه المظهر الشكلي للسرد ، وزمن الحيز والأحداث هو المدلول لأنه يمثل مستوى التصور أو الإدراك الذهني لزمن الواقع و الزمن التاريخي كتابة فقراءة هو المرجع لأنه هو الزمن الحقيقي الذي يرتد إليه الخطاب السردي أو يحيل عليه الزمنان معا**"[1].

[1] _عبد الوهاب الرقيق، هند بن صالح ،أدبية الرحلة في رسالة الغفران ، ص 34

و إذا رجعنا إلى كتاب الإمتاع و المؤانسة نجد التوحيدي قد إختار الليل ليكون زمنا لمحادثاته مع ابن العارض بوصفه اللحظة التي ينطلق فيها الحكي ، فكان الإطار الذي جرى فيه سرد الأحاديث و تبادل المعرفة و المتعة ،وعلى هذا الأساس إتخذ التوحيدي من الليلة وحدة لتقسيم أحاديثه فجاءت مسامراته مقسمة إلى ليالي إبتدأت من الليلة الأولى التي انعقد خلالها الإتفاق حول مشروع المثاقفة إلى الليلة الأربعين التي تعد آخر ليلة جمعت الوزير مع التوحيدي.

و الواضح من خلال هذا التقسيم أن التوحيدي قد تأثر بكتاب ألف ليلة و ليلة و يدخل هذا في باب التعلق النصي حيث تتجسد العلاقة بين نصين محددين أولهما سابق و الثاني لاحق و العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة تعلق " **لذلك فالنص اللاحق "متعلق"و النص السابق "متعلق به" فالنص اللاحق ينتقي و يختار النص السابق الذي يراه يستأهل أن يكون موضوعا "التعلق" لمواصفات خاصة مميزة**"[1]. فقد يحضر النص المتعلق به من خلال اسمه أو أحد نعوته كما قد يحضر من خلال باقي أنواع التفاعل النصي و التي حددها جيرار جنيت مثل المناصة ، و التناص و الميتانص[2].*

و إذا نظرنا إلى ملابسات إنتاج الإمتاع و المؤانسة و كتاب ألف ليلة وليلة نجد أن التناص يتحدد من خلال البواعث التي دفعت كل من المؤلفين إلى و ضعهما ، إن الباعث الرئيسي الذي دفع التوحيدي و شهرزاد إلى السرد هو الحياة بأنواعها مادية كانت أم

---

[1] _ سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي،ط1 ،أوت 1992 ص 28

[2] _ سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي ، ص29

* المناص:بنية نصية متضمنة في النص كما هي

المتناص:بنية نصية محمولة ومتداخلة مع بنية أخرى

الميتانص: بنية نصية يعلق بواسطتها

معنوية ، لقد كانت شهرزاد تحكي لتخلص نفسها و بنات جنسها من الموت المؤكد على يد الملك شهريار ، فكان استمرار الحكي يعني استمرار الحياة ، في حين كان التوحيدي يحكي لينال الحضوة و المكانة عند ذوي الجاه و السلطان ففي الوقت الذي كان شهريار يقول لشهرزاد "**إحكي و إلا قتلتك**" نجد أبا الوفاء المهندس يقول للتوحيدي"**إن من قدر على وصولك يقدر على فصولك ، وإن صعدبك حين أراد ينزل بك إذا شاء**"[1].

كما أن النصان يلتقيان في نقطة أخرى و هي نظام تقسيم الليالي، فالتوحيدي قد استلهم نظام المحادثة من كتاب ألف ليلة و ليلة وعلى شاكلته ، فاتخذ من الليلة إطارا زمنيا لإحتواء أحاديثه الليلية ، وإذا كانت شهرزاد تبدأ حكايتها مع غروب الشمس لتنتهي عند طلوع الفجر ، فإن أبا حيان لم يشر في ثنايا كتابه إلى المدة الزمانية التي استغرقتها المحادثة مع الوزير داخل الليلة ، هل كانت المسامرات تدل على أن الحاديث قد استغرقت وقتا طويلا ؟ و نجده يعبر عن ذلك في مواضع مختلفة يقول الوزير في الليلة السابعة" **أظن أنه قد نصف الليل**" [2].

ويشير في الليلة السادسة عشرة إلى أن الحديث استمر إلى الثلث الأخير من الليل يقول "**إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملحة الوداع**" [3].

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1 ، ص 13

[2] _ المصدر نفسه ، ج1 ،ص 79

[3] _ المصدر نفسه ،ج1 ،ص 160

وفي ليلة أخرى يستخدم الوزير تعابير مختلفة للدلاة على تعبه بسبب طول السهر وطول المدة التي استغرقتها المسامرات يقول الوزير في الليلة الثامنة "**إن الليل قد ولى و النعاس قد طرق العين عاتبا**"[1]

و في الليلة الثالثة عشر يقول " **و أظن أن الليل قد تمطى بصلبه و ناء بكلكله**"[2] ، وفي الليلة الثانية و الثلاثون يقول" **قد تمطى الليل و تغورت النجوم ، وحن البدن إلى الترفه ، فإذا شئتم فانصرفنا متعجبين**"[3] ، و يقول في الليلة الخامسة و الثلاثين "**ثم تمطى و قال: و انعاساه ، وأضعف مُنّتاه ، ثما فارقت المجلس**"[4].

ويبدو أن الوزير ابن العارض كان يستمتع بمسامراته مع التوحيدي لذلك نجد أن المجلس لا يختتم إلا إذا أحس بالتعب و قد عبر عن ذلك عدة مرات ، يقول في الليلة السابعة والعشرون" **هذا الكلام ليس عليه كلام أرى النعاس يخطب إلى عيني حاجته** " [5].

ويقول في الليلة التاسعة و العشرون " **فإن الليل قد عبس وجهه ، و جنح كاهله و أهدى إلى العين سنة تسرق الذهن و تسبي الرأي**"[6].

إعتمدت مسامرات التوحيدي في بادئ الأمر على المشافهة و هذا ما دفعه إلى اختيار الليل ليكون زمنا لهذه المسامرات التي جمعته بابن العارض و حاول من خلالها كسب رضا الوزير من خلال ما كان يسرد عليه من أحاديث في شتى دروب المعرفة.

---

[1] _ أبو حيان ، التوحيدي الأمتاع والمؤانسة ج1، ص104

[2] _ المصدر نفسه ، ج1،ص145

[3] _ المصدر نفسه ،ج3، ص 330

[4] _ المصدر نفسه، ج3 ، ص 366

[5] _ المصدر نفسه ج3، ص266

[6] _ المصدر نفسه ،ج2، ص 284

ووقوفا عند رغبة أبي الوفاء المهندس و خوفا من تهديده قام التوحيدي بتحويل مسامراته إلى نصوص مكتوبة " **هذا و أنا أفعل ما طالبتني به من سرد جميع ذلك ،إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق و يصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق و الجليل ، والحلو والمر والعاسي و المحبوب و المكروه**"[1]، وبذلك شكل زمن الكتابة مرحلة زمانية ثانية من مراحل إنجاز كتاب الإمتاع و المؤانسة ومن تم أصبح لهذه النصوص زمانين متباعدين ، زمن الحكاية أو زمن الحديث و زمن الكتابة ، إن هذا التباعد بين الزمنين خلق نوعا من الإضطراب في بنية الليالي فقد استغرق مشروع المشافهة بين التوحيدي و ابن العارض أربعين ليلة كما هو وارد في ترقيم الليالي ، إلا أن التصفح الدقيق للكتاب يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن هناك ليلتين لم يتم إدراجهما في الكتاب و هما الليلة الحادية عشرة و الليلة الثانية عشرة ، وهنا يمكننا أن نتساءل عن سبب تغييب هاتين الليلتين ونجد أنفسنا أمام إجابتين محتملتين:

أولهما أن التوحيدي سامر الوزير ثمان و ثلاثين ليلة فقط وأنه عمد إلى الزيادة حتى يحصل على أربعين ليلة ، يقول أحمد أمين في مقدمة الكتاب " **ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزيد فيه ، واخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل فقد اتهمه العلماء من قبل و منهم ابن الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعزوة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعمر في حق علي بن أبي طالب و لعل هذا**

[1] _أبو حيان االتوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج1 ، ص14

التزيد كان ضمن الأسباب التي دعته أن يرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير وخشى أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزيد"[1].

و إذا كان أحمد أمين قد أيد فرضية الزيادة في محتوى الكتاب ،فإن هناك من رأى أن كتابة الإمتاع و المؤانسة في شكل مسامرات ليلية إنا هو إختيار فني و ليس نقلا لأحداث فعلية وقعت للتوحيدي مع الوزير ابن العارض أولا ثم قام بتدوينها ثانيا لأبي الوفاء المهندس.

في حين رأى كمال أبو ديب أن حجم المادة المعروضة في كل ليلة لا يمكن أن نصدق إمكانية عرضه كاملا.

والإحتمال الثاني أن أبا حيان سامر ابن العارض أربعين ليلة و دونها لأبي الوفاء في سبع وثلاثين ليلة بسبب الفرق بين الخطاب الشفوي و الخطاب المكتوب و قد أشار التوحيدي إلى هذا الفرق في قوله " **إنما نثرت بالحلم ما لاق به ، فأما الحديث بعدي وبعدك ، لم أجد بدا من تنميق يزدان به الحديث ، وإصلاح يحسن معه المغزى،وتكلف يبلغ بالمراد الغاية ، فليقم الغدر عندك على هذا الوصف ، حتى يزول العتب و يستحق الحمد و الشكر"**[2].

وفي موضع آخر يشير التوحيدي إلى الفارق بين الخطاب الشفوي و الخطاب المكتوب يقول " **و الكتاب يتصفح أكثر من تصفح الخطاب لأن الكتاب مختار و المخاطب مضطر"**[3].

---

[1] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة أحمد امين ،وعلي الزين ،ص ص، ع، ف

[2] _ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 388

[3] _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1 ، ص52

إن عملية التدوين عامة تتوجه بعد معاودة الكتابة إلى نقل الشفوي بوعي وعقل يعمدان إلى الاختيار و الانتقاء و الشرح و التحويل و التعديل ، ومعنى هذا أن المعاني الجوهرية للخطاب الشفوي لا تكون بشكلها الخام في أي شكل من أشكال الخطاب في الكتاب.

إن اندراج عناصر شفوية في السرد تجعل العناصر في النص مشدودة في الغالب إلى مرجعية المتكلم و المخاطب و الخلفية التي استمد النص حضوره منها ، و التحويل الذي يخضع له النص الشفوي يجعلنا نتحدث عن النص الغائب غير المعلن والمضمن بلا شك ضمن نصوص الكتاب لأن فعل الكتابة حتى وإن كان ملزما للمتكلم و المخاطب يخضع لعدد من الإقصاءات و الحذف و الزيادات و الضوابط التقديرية من قبل الكاتب.

الفصل الثالث

1. التلقـــــــــي

2. مستويات التلقي

أ. متلق عام | متلق خاص

ب. متلق إيجابي | متلقي سلبي

ج. متلق معياري

د. متلق سامع | متلق قارئ

3. مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة

أ. متلق سامع

ب. متلق قارئ

ج. متلق متكلم | كاتب

تمهـــــيد:

تشكل نصوص الإمتاع والمؤانسة الخطاب المسرود والقابل للتلقي والقراءة على مر العصور،وتختلف القراءات باختلاف القراء وثقافاتهم كما تختلف باختلاف العصور والأزمان

1.التلقـــــي :

إن أول إرهاصات نظرية التلقي ظهرت عند أرسطو في كتابه فن الشعر وتتمثل في فكرة التطهير كما ذهب إلى ذلك روبرت هولب ، أي فيما ترمي إليه النصوص ولا سيما التراجيديا من غسل نفوس المتلقين من قراء ومشاهدين لتنقيتها من أوضار الشر [1].

و إذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا بعض الباحثين يربطون بين تفكيك النص و تلقيه حيث أصبح أصحاب نظرية التفكيك يولون القارئ (المتلقي) مكانة تفوق مكانة الكاتب وهذا "**يعني أن اختلاف القراءات أصبح هو السلطة الأولى في التعامل مع النص**"[2] ، ويعني أيضا " **أن القصيدة ليس لها وجود فعلي إلا عند قراءتها و أن معناها لا يمكن مناقشته إلا بقراءتها** "[3] . وكان للشكلانيين الروس دور مهم في ظهور نظرية التلقي وذلك نتيجة لاهتمامهم بالقارئ ، كما كان لرولان بارث و أمثاله من النقاد البنيويين دور في ظهورهذه النظرية اذ جعلوا القارئ بطلا مناقضا للكاتب

[1] -حامد أبو أحمد ،الخطاب والقارئ ، ص 28

[2] -مرجع نفسه ص 32

[3] -مرجع نفسه صفحة نفسها

أو مكملا له و أعطوه مكانة بارزة في فهم النص وتذوقه تفوق مكانة الكاتب يقول رولان بارث وأمثاله " **إن مولد القارئ ينبغي أن يحدث على حساب موت المؤلف**"[1].

ومن النقاد الذين كان لهم دور في ظهور البوادر الأولى لنظرية التلقي رومان إنغاردن الذي رأى " **أن العمل الأدبي في حاجة دائما إلى هذا النشاط الإنساني الذي يعمل فيه القارئ خياله من أجل أن يكمل العمل ويحققه عيانا**" [2]. ومنهم جان موكاروفسكي زعيم المدرسة البنيوية التشيكية في براغ الذي رأى أن النص الأدبي يوجه إلى متلقي ، وأقر بأن لهذا المتلقي شأن في إكمال النص الأدبي.

ونستطيع أن نضيف إلى هؤلاء علمين آخرين هما جوليان هيرش الذي نادى " **بضرورة التركيز على الأعمال ومنشئها ، بل على الآثار التي أحدثها هؤلاء المنشؤون في زمنهم وبعد زمنهم في نفوس المتلقين الذين يدركون قيمة تلك الأعمال ويقررونها**"[3]، و شوكنغي الذي عني بالجانب الإجتماعي من ثقافة المتلقي وبالعوامل الكثيرة التي شاركت في تكوين ذوقه على نحو معين وذهب إلى أنه"**لم يعد المؤلف وعمله الأدبي يحتلان مكانة الصدارة بل انصرف الاهتمام أساسا إلى المتلقي و إلى الظروف الإجتماعية التي تم فيها التلقي**"[4] .

من هنا يمكن القول أن نظرية التلقي جاءت نتيجة الجهود المستخلصة من بنيوية رولان بارث وشكلانية الروس ونظريات المدرسة البنيوية التشيكية وآراء نقاد آخرين.

---

[1] -روبلت هولب ،نظرية التلقي،ص182

[2] - المرجع نفسه ، ص 38

[3] -المرجع نفسه ص13

[4] -المرجع نفسه ، ص 14

وجاء ياوس ليكمل المسيرة فاستثمرالجهود السابقة وحاول الخروج بنظرية متكاملة الملامح ، حيث وضعت هذه النظرية مفاتيح النصوص في أيدي القراء وسمحت لهم أن يقتحموها من جهات مختلفة و بأساليب متعددة و أن المعنى الأدبي الذي ينتجه قارئ النص لا يمنع غيره من القراء من إعطاء معنى آخر لنفس النص ، أي أن النص الواحد يمكن أن يقرأ قراءات مختلفة على مر العصور وهذا ما يعرف بالقراءات التداولية[1].

مع العقد السادس من القرن العشرين شاع هذا التيار النقدي في ألمانيا وراح الشباب يناقشون دعاوى أسلافهم ويصدرون البحوث التي تحذر من خطر المناهج السابقة ولوحظ أنه إبتداء من عام 1963 أخد الإهتمام النقدي ينتقل من ميدان المسرح من إنتاج المسرحيات وعرضها وتمثيلها وموضوعاتها إلى تاثيرها واستجابة الجمهور لها[2].

استفاد ياوس من هذه الآراء وراح يصدر البحث من أجل الوصول إلى نظرية متكاملة وتوصل إلى "**أن جوهر العمل الفني يقوم على أساس تاريخيته أي على أساس الأثر الناشئ عن الحوار المستمر مع الجمهور** " [3].وجاء بمصطلح جديد وهوأفق التوقعات ويقصد به وصف المقاييس التي يستخدمها القراء في دراسة النصوص الأدبية و الحكم لها أو عليها [4]، وربما كان اختياره لهذا المصطلح نابعا من الآراء السابقة التي مهدت لنظرية التلقي و القائل أن المعنى نسبي لأنه جماع المعاني التي تتحصل مما يستنبطه من النص قراء أو متلقون عديدون ، وإن الحس الجمالي وتذوق الإبداع مستندان إلى التلقي، وهذا الإستناد مرتبط بفكرة التطهير التي أشار إليها أرسطو قبل بضع وعشرين قرنا ، ومعناه

[1] –حامد أبو أحمد ، الخطاب والقارئ ، ص53

[2] – المرجع نفسه، ص 77

[3] – المرجع نفسه، ص 88

[4] – المرجع نفسه، ص84

تحرير الإنسان القارئ أو المتأمل في النص أو المشاهد المسرحية اليومية من المصالح اليومية ونقله إلى الحرية الجمالية في تعامله مع الأدب ، وانطلاقا من هذه النقطة رفض ياوس رأي من رأى الحس الجمالي منفصلا عن التطهير و أن وظيفة الأديب إبداع الجمال و معالجة القضايا الإجتماعية والإنسانية و أكد "**أن جوهر العمل الفني يقوم على أساس تاريخيته أي على أساس الأثر الناشئ عن حواره المستمر مع الجمهور**"[1] ، كما بحث ياوس عن كيفية توحد التاريخ وعلم الجمال فأشار إلى أن " **أول استقبال من القارئ لعمل ما يحدد قيمته الجمالية مقارنا بالعمال التي قرئت من قبل والدلالة التاريخية لذلك أن فهم القارئ الأول سيؤخذ به وسينمى في سلسلة من عمليات التلقي من جيل إلى جيل**"[2].

وكان لأيزر دوره في وضع تقديم لنظرية التلقي بالوجه الذي صارت عليه حيث يرى أن أساس قراءة العمل الأدبي تقوم على التفاعل بينه وبين متلقيه والعمل الأدبي لديه يشتمل على طرفين أحدهما فني والآخر جمالي ، الأول هونص المؤلف والآخر هو الإدراك المنجز من قبل القارئ ولا يمكن للنص أن يكون فعليا دون أحدهما.

ويرى أيزر أن متعة القارئ تبدأ " **عندما يصبح هو نفسه منتجا أي عندما يسمح له بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار**"[3] ، وذلك يتم عن طريق المشاركة بين رغبة القارئ وبنية النص ، وتحدث أيزر عن القارئ الضمني والذي اعتبره بنية نصية ذات

[1] – حامد أبو أحمد ، الخطاب والقارئ ص105

[2] –روبرت هولب ، نظرية التلقي، ص152

[3] –فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة ،ص30

وجود أسبق من المتلقي مهما كان تحديده[1]، وهذه البنية تسمح للقارئ بالإنطلاق من نقاط معينة يتلاءم فيها أنواع مختلفة من القراء ،وهذا يجعل عملية القراءة قائمة على وتر داخلي متواصل بين توقعات القارئ و ما هو موجود في النص، فهذه النظرة تجعل القراءة ذات فاعلية في تناول النص بل إنها تقيم مفهومه على حضور واضح للقارئ في بنيته ودون هذا الحضور لن يكون للنص وجود فعلي.

وكغيرها من النظريات شهدت نظرية التلقي رواجا كبيرا عند النقاد العرب فراحوا يتدارسونها وحاولوا تطبيقها على مختلف النصوص سواء كانت شعرية أو نثرية فنجحوا أحيانا و أخفقوا أحيانا أخرى.

2.مستويات التلقي:

إن وجود نص أيا كانت طبيعته نثريا أو شعريا مقروءا أو مسموعا يفترض بالضرورة وجود متلق له ، هذا المتلقي قد يكون كاتب النص أو أي شخص آخر .وتختلف طبيعة إستجابة المتلقي و تفاعله مع النص بحسب طبيعة المتلقي فبين إستجابة المتلقي العادي و المتلقي الناقد و المتمرس فرق كبير بسبب إختلاف ردود الأفعال و الفعاليات الذهنية التي يعبر بها كل منهما فضلا عن مستوى خبرة وثقافة كل منهما " **فغالبا ما يلجأ متذوق الأدب إلى الإندماج بالنص في شبه حالة لا واعية بما يجري في ذهنه بينما تصاحب عملية التلقي لدى الناقد المتمرس أشكال من الوعي تتجلى في التحليل وتقديم بناء أو أبنية منطقية اعتمادا على معطيات النصوص ذاتها**"[2].

[1] – فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة ،ص34

[2] –حميد لحميداني ، مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجا ، مجلة دراسات سميائية ادبية لسانية، عدد خاص حول جماليات التلقي عدد6خريف شتاء 1992 ،ص97

من هنا يتبين أن الناقد المتمرس يبذل جهدا أكثر في فهم النص وفك شفراته وملء فراغاته من أجل الوصول إلى ما لم يقله الكاتب ،كما أن هناك فرقا في إستجابة المتلقي السامع والمتلقي القارئ هذا الفرق يكمن أولا في الإختلاف في العملية التواصلية وكل ما يصاحبها من تغييرات أي بين وضعية المشافهة ووضعية الكتابة كما سبق الحديث عنها ، فالنص المكتوب لا يتعرض بالتفصيل دائما لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بالحكي أو الوصف و على القارئ بذل مجهوده في استحضارها لاستكمال الأجزاء الناقصة في العالم الممكن الذي يتحدث عنه النص ، في حين النصوص المسموعة هناك عناصر أخرى كالإيماءات و الإشارات التي قد يلجأ إليهم المتكلم من أجل إيصال أفكاره والتي تساعد المتلقي السامع على الفهم والتأويل.

إن هذه الإختلافات في تلقي النصوص يدفعنا إلى تحديد مستويات للتلقي ،هذه المستويات تخضع إلى عدة معايير في تحديدها ترجع إلى طبيعة المتلقي .

في دراسة قام بها حميد لحميداني تحمل عنوان " مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجا" حاول تحديد مستويات لتلقي النص القصصي القصير منطلقا في دراسته من أعمال أيزر في حقل جمالية التلقي ومفهوم القارئ الضمني غير أن هذه الدراسة كما يقول حميد لحميداني "**كانت تتجنب في نفس الوقت ذلك الطابع التجريدي الذي يغلب عليه فلا تأخذ إذن بمفهوم القارئ الضمني بل تتعامل مع القارئ الفعلي الموجود في الواقع وهذا يعني أنها تستند في نفس الوقت من قارئ ياوس لكن في لحظة من لحظات تحققاته التاريخية المحددة**"[1].

[1] - حميد لحميداني ، مستويات التلقي ،ص94

بدأ الباحث في تحديد مستويات للمعرفة تقابلها مستويات للقراءة فتحصل على مايلي

معرفة حدسي ⟵ قراءة حدسية ⟵ التذوق المتعة

معرفة أيديولوجية ⟵ قراءة أيديولوجية ⟵ المنفعة

معرفة ذهنية أو فكرية ⟵ قراءة معرفية ⟵ التحليل

معرفة إبسنمولوجية ⟵قراءة منهاجية ⟵ التأمل المقارنة و إدراك الأبعاد

وحاول الربط بين مستويات القراءة و رأى أن هناك إلتقاء بين جميع هذه المستويات و إن كان التمييز بينهما تفرضه هيمنة إحداهما في كل مستوى من مستويات تلقي النص الأدبي .

و أشار الباحث إلى أنه حاول من خلال هذه التجربة تفادي بعض الثغرات التي ميزت تجارب سابقة، فقد سبقه إلى مثل هذه الدراسة نورمان هولاند في كتابه " خمسة قراء يقرؤون" والذي حرص على تحديد شخصيات قراءه قبل إجراء إختبار القراءة وقد رفض جوتمان كولير هذا " **لأنه في نظره يجعل شخصية القارئ كمعطى أولي وثابت في حين أن الشخصية قابلة في الواقع لأن تجري ردود فعل غير منتظرة تبعا لطبيعة النص المقدم لها ولمقدار ما فيه من تسنين مقصود**" [1] وتفادى هذا الباحث " **جعل القارئ مجرد أداة إستكشافية للوصول إلى معطيات نفترضها في النص المدروس**" [2].

حاول حميد لحميداني توجيه عمله ليقترب من ميدان النقد الأدبي في نفس الوقت وذلك بجعل الإستذكار الذي استخدم في تجارب علم النفس التجريبي وسيلة للحصول على تلقائية وعفوية ردود الفعل عند قراء عاديين بإجراء التطبيق على عينة من داخل

[1] – حميد لحميداني ، مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجا، ص 101

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

التخصص الأدبي بالتحديد من مجال النقد ، وتفادى إحداث الفجوة الكبيرة بين زمن القراءة و لحظة إجراء الإختبار كما فعل المهتدون بدراسة فعالية الذاكرة لأن التأخر في إجراء الإختبارعن لحظة القراءة يعرض المتلقين لمؤثرات جديدة ولتلاشي الذكريات مما يؤدي إلى ضياع أغلب عناصر النص[1].

قدم هذا الباحث نصه إلى مجموعة من طلاب السنة الثالثة تخصص النقد الأدبي الحديث مع مجموعةمن الأسئلة ومن خلال دراسة إجاباتهم إستطاع تحديد مستويات تلقيهم للنص ، وحصل في النهاية على ثلاث قراءات :

-قراءة تغلب الجانب المعرفي .

-قراءة تعادل بين الجانب الحدسي و الجانب الأيديولوجي .

-أما القراءة الإبستمولوجية لم يتمكن أحد من اقتحام هذا المجال لأنها تتطلب معرفة بأنماط القراءة الممكنة ذاتها.

من خلال هذه الدراسة التي قدمها حميد لحميداني نلاحظ أن تحديده لمستويات تلقي النص اعتمدت أساسا على المستوى الذهني والمعرفي للقراء ومن خلاله استطاع الوصول إلى تحديد مستويات تلقيهم للنصوص.

وربما كانت طبيعة النص القصصي القصير هي التي شجعت الباحث إلى اللجوء إلى مثل هذه الدراسة ذلك أن النص القصصي يتسم بالقصر وقد لا يحتاج إلى مدة طويلة لقراءته وفك شفراته دون أن ننسى المستوى الفكري و الثقافي للقراء و الذي له دوره في تحديد مستويات التلقي، إلا أن الحديث يختلف إذا انتقلنا إلى نص روائي أونص شعري فالدراسة تختلف وتتعقد.

[1] – حميد لحميداني ، مستويات التلقي ،ص102

إن اختلاف طبيعة النصوص و ظروف نشأتها وتكوينها قد يفرض علينا اختيار الطريقة الملائمة للتعامل معها وفهمها ودراستها وتحديد مستويات تلقيها.

وعلى هذا الأساس وبالنظر إلى طبيعة نصوص الإمتاع والمؤانسة يمكن القول أن دراسة كالتي سبقت قد يصعب تطبيقها على كامل نصوص الإمتاع والمؤانسة لماتتسم به من طول وتنوع في المواضيع ومن هنا سنعتمد على طبيعة النصوص و ظروف تكوينها من أجل تحديد مستويات تلقيها ، هذه المستويات تعتمد بالدرجة الأولى على القناة التي تتلقى من خلالها النصوص.

قبل الحديث عن مستويات التلقي يجب الحديث عن التلقي وهو يمثل الركن الثالث من أركان العملية الإبداعية بعد المرسل والنص فمن هو هذا المتلقي ؟ وهل هو أنواع؟ وكيف يمكن التمييز بين المتلقين؟

المتلقي هو من أرسلت الرسالة من أجله و يتطابق مصطلح المتلقي مع " **مصطلح السامع في عصر الرواية عند العرب القدماء كما يتطابق أو يتداخل بمصطلح الجمهور**"[1].

ولا تقل أهمية الصلة الموجودة بين النص و متلقيه عن الصلة بين النص ومنتجه أو مؤلفه ذلك أن المتلقي حين يقرأ نصا تثار عواطفه و أحاسيسه ويكون باعثا لذكرياته و خيالاته كما أنه يكون باعثا لأحلامه و استشراقاته المستقبلية.

تختلف طبيعة المتلقي بحسب طبيعة النص أو بحسب مستواه الفكري و الثقافي فنجد متلقي عاد و آخر مبدع[1]، متلقي معياري و متلقي ايجابي متلقي سامع ومتلقي قارئ ،

[1] –ظافر بن عبد الله الشهري ، من صور التلقي في النقد العربي القديم، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية و الإدارية مجلد1ــ عدد1، مارس 2001، ص59

متلقي مشارك في السرد[2] ، متلقي خاص و متلقي عام[3]....إلخ من المصطلحات التي حاول النقاد إعطاءها لمتلقي العمل الإبداعي.

إن طبيعة النصوص السردية هي التي أوجدت هذا النوع من التحديد لأصناف المتلقين.

أ- متلق عام وخاص:

إن الإختلاف في طبقات المجتمع ووجود السلطان أو الأمير و حاشيته و احتلاله مكانة مرموقة بالمقارنة مع عامة الناس جعل ظروف الحياة تسير وفق هذا التقسيم ، فكلما ارتقينا في السلم الإجتماعي تحسنت أحوال الناس و ارتفعت مكانتهم وكان لهم الحظ الأوفر في الحياة المترفة ، هذا الترف انعكس أيضا على الحياة الأدبية مما أدى إلى وجود أدب الخاصة و أدب العامة ، فكان للسلطان ندماءه ومسامروه يحضرون مجالسه حتى أن الخطاب الأدبي الذي كان ينتج في هذه المسامرات يتماشى ورغبات السلطان وميوله .

وجود أدب للخاصة وآخر للعامة أوجد بالضرورة متلق خاص وآخر عام ، فمثل الخليفة أو السلطان المتلقي الخاص وقد كان له مجلسه الخاص وحتى و إن لم يكن لديه مجلس فإنه كان يجلس في مكان أعلى بعيدا عن العامة حتى لا يختلط بهم و في أحيان كثيرة كان تلقي الخاصة لندمائهم " **يكون من وراء ستارة، وكان الخليفة لا يظهر تماهيه مع مرويات الندماء و نوادرهم إلا في بعض الأحوال التي شذت عن الأصل ، وجلوس الخليفة في فضاءه الخاص عند استماعه أحاديث المنادمين هو الذي جعل ابن**

---

[1] – ظافر بن عبد الله الشهري ، من صور التلقي في النقد العربي القديم ، ص61

[2] – على بن تميم ن السرد و الظاهرة الدرامية ص 254

[3] – ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط1ن2005، ص ص220،221

اسحاق الموصلي يغضب عندما خرق المتوكل هذا السنن الثقافي و إختلط بأصحاب السماجة حتى كأنه واحد منهم، ولذلك استمع المتوكل جيدا لنصيحة ابن اسحاق وبنى له مجلسا مشرفا ينظر إلى السماجة دون أن يتماهى معهم في أدوارهم الراقصة." [1]

لقد كان جلوس الخليفة وسط العامة في مجالس القص يعد حطا من قيمته و مكانته وهذا ما دفع الكثير منهم إلى إنشاء مجالس السمر تقام بأمر من الخليفة فهو من يحدد زمانها وحتى موضوعاتها أما المتلقي العام فهو ذلك الذي ينتمي إلى عامة الناس يحضر بنفسه إلى مجالس القص و إذا لم يكن للعامة مجالسهم الخاصة ، فمتى وجدوا قاصا أو راويا تحلقوا حوله ليستمعوا إلى أحاديثه ، فالراوي هو المتحكم في مكان و زمان الحديث متى شاء بدأ ومتى شاء أنهى حديثه وعلى المتلقين العوام الخضوع إلى رغباته ، يقول الجاحظ في حديثه عن المتلقين العوام" **و إذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين و الحشوة و الصناع والباعة ، و لست أعني أيضا الكراد في الجبال و سكان الجزائر البحار ، ولست أعني من الأمم مثل البير والطيلسان ، وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا .....و أدبنا و أخلاقنا فالطبقة التي عقولها و أخلاقها فوق تلك الأمم ، و لم يبلغوا منزلة الخاصة منا**"[2] .

إن تحديد العام والخاص يرجع إلى المكانة الإجتماعية التي يحضى بها كل نوع من المتلقين.

[1] - ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، ص326

[2] -علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ،ص256

ب-متلق إيجابي و متلق سلبي:

إن هذا التحديد يرجع بالضرورة إلى الدور الذي يلعبه المتلقي في العملية التواصلية أو في سير الأحداث ، فقد يشترك السارد و المتلقي في نسج البنية السردية ، هذه العلاقة التي تجمع بين السارد و المتلقي هي من طبيعة المجتمعات الشفاهية عامة ، وقد كان للمتلقي دور كبير في مجالس القص لأنه كان يشارك في السرد كلما سمحت له الفرصة، يقول ابن الجوزي في كتابه" تلبيس إبليس " عن هذا النوع من المتلقين" **ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان ، و الألحان التي أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة ، والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل ، مع تصفيق بيديه ، وإيقاع برجليه ، فتشبه السكر و يوجب ذلك تحريك الطباع ، وتهييج النفوس ، وصياح الرجال والنساء ، وتمزيق الثياب لما في النفوس من الهوى ثم يخرجون و يقولون كان المجلس طيبا**"[1].

لا يكتفي المتلقي هنا بمجرد الإستماع والتعلم فقط و إنما يدفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه عن طريق تفاعله مع الراوي ومشاركته في رسم مشاهد فنية رائعة وهذا ما ذهبت إليه ألفت الروبي فهي ترى أن دور المتلقي الإيجابي " **لا يقتصر على الإستماع فقط بل يتعداه إلى مجموعة من ردود الأفعال التي تتمثل في عدد من الممارسات السلوكية التي تعد بدورها استكمالا للطابع الدرامي الذي تبدأ به العملية الآدائية للقص من جانب القاص**"[2]، بالإضافة إلى مشاركة المتلقي في عملية

[1] – علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ،ص 224

[2] –المرجع نفسه ، ص225

الآداء القصصي عن طريق تفاعله مع السارد يشارك أيضا في عملية السرد وفي أحيان كثيرة يكون للمتلقين دور في إحداث تغييرات على مستوى النص المسرود فيضطر السارد إلى " **الإطناب أو الإيجاز أو حتى الحذف و التبديل في نص القصة ، يساعدهم على ذلك أن القصة لست نصا مكتوبا ذائعا كبقية النصوص الأدبية ، وإنماهي بطبيعتها شفوية يتلقاها القصاص عن شيوخهم هكذا....وهذا التسلسل الشفوي من رواية إلى أخرى يجعل القصة عرضة من هذه الناحية أيضا إلى التحريف بالإضافة و الحذف و التغيير**"[1]ولم يكن التغيير على مستوى المضمون فقط بل تعداه إلى تغليب اللفظ على المعنى استجابة إلى منطق المتلقي من أجل " **الإثارة و التشويق و محاولة السيطرة على وجدان المتلقي وعقله و إندهاشه من خلال اللعب بالألفاظ و إنتقائه حتى لا ينفلت عنها انتباهه ولا يتغير إلى غيرها اتجاهه**"[2]، وهناك الكثير من النصوص السردية التي يظهر من خلالها مشاركة المتلقين في عملية السرد وقد حاول كمال أبو ذيب دراسة المتلقي و إبراز دوره في تطور النص السردي من خلال دراسته لكتاب" العظمة" المنسوب للغزالي وكتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي وهو يرى أن " **المتلقي فيها ينخرط إنخراطا فعالا في فعل السرد و تفريغ الحدث و تحديد مسارب النمو في المجلسية بدلا من أن يبقى متلقيا محايدا ينصت ولا ينطق**"[3].

وسنحاول لاحقا إبراز ذلك من خلال نصوص الإمتاع و المؤانسة.

[1] – علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ،ص236

[2] –المرجع نفسه ، ص 237

[3] –المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

ج-متلق معياري:

مهما كانت طبيعة المتلقي فإنه في أحيان كثيرة قد يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه ، هذا النوع من المتلقي يمكن أن نطلق عليه متلقي معياري و المقصود به" **هو المتلقي الخاص الذي كان حاضرا مع المتلقي العام في مجالس القص و أصدر أحكاما معيارية** "[1]، ويدعو الجاحظ المتلقي للإستماع إلى الأخبار العجيبة يقول " **فالأخبار العجيبة والمعاني الغريبة مشحذة للأذهان ، ومادة القلوب و سبب للتفكير وعلة للتنفير عن الأمور ، وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما أرجعهم عملا**"[2].

إن هذه الأخبار تجعل المتلقي ذا خاطر و تفكر وعلم وعمل يعي ما يتوجه إليه حتى وإن كان عجيبا غريبا و يتفكر به و يصدر أحكاما عليه.

و قد سبق ابن المقفع الجاحظ في تحديد صورة المتلقي النموذجي أو المعياري ينطلق منها القارئ عند قراءته لكليلة ودمنة ويرى أن على المتلقي أن يتحلى بالمواصفات التالية:

- أن يعرف الوجوه (الأغراض) و ألا تكون غايته التصفح.
- إعمال الروية ، فالمتلقي العاقل هو الذي يعلم الغرض ظاهرا وباطنا.
- أن يعمل بما علم ، و يجعله مثالا لا يحيد عنه و دستورا يقتدى به .
- أن يديم النظر من غير ضجر، و يتلمس جواهر معانيه.

[1] - علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ، ص254

[2] -المرجع نفسه ، ص255

فابن المقفع و الجاحظ يتفقان في أن المتلقي يجب أن يتفكر و يتدبر و يديم النظر فيما يقرأ و يتلقى [1].

د- متلق سامع متلق قارئ:

إن القارئ و السامع عنصران أساسيان في عملية التلقي و لكل منهما دلالته الخاصة و قد جاء هذا التحديد نتيجة التطور الذي عرفه الإنسان في جميع مجالات حياته و على مر العصور ، ففي بادئ الأمر كان التلقي عن طريق السماع ، ومع ظهور الكتابة ظهر نوع آخر من المتلقين وهو المتلقي القارئ .

ارتبط التلقي السماعي بالشعر فكان " **مصطلح المتلقي أشد دلالة على الحالة السماعية للشعر من مصطلحات أخرى كمصطلح القارئ و السامع بوصفه مصطلحا شاملا تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية فضلا عن القرائية**"[2].

حظي المتلقي السامع بإهتمام كبير لاقترانه بتلقي الشعر لما كان للشعر من مكانة مرموقة بالنظر لبقية الأجناس الأدبية الأخرى" **وقد لا نكون في حاجة لكي نؤكد أن الآداء الصوتي كان أسبق من الكتابي ، بحكم تأخر الكتابة عن مرحلة نشوء اللغة و هو أمر يستنتج كذلك من وضعية إرسال الشعر في العصر الجاهلي حيث يثبت المؤرخون تخلف إستعمال الكتابة في ذلك العصر و ميل جمهور المتلقين إلى تقبل الشعر عن طريق الإلقاء المباشر و حمله عن طريق الرواية ، و هي ظاهرة كانت لها مبررات إجتماعية تمثلت في المواقف الإجتماعية التي كان يوظف فيها**

[1] -- علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ،ص256

[2] - بشرى موسى ، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المركز الثقافي العربي ط1، 2001، ص 59

الشعركالمفاخرات و المنافرات و الدعوة للصلح مما كان يتطلب الإلقاء المباشر للشعر ، ومما كان يتطلب الإجادة في الإلقاء ، أي التحكم في مخارج الحروف و حسن توظيف الصوات مع الخلو من العيوب الصوتية"[1].

وبعد مجيء الإسلام إرتبط المتلقي السامع إرتباطا و ثيقا بالقران الكريم ، وبهذا أصبح للعرب ميزة في نظرية التلقي تميزهم عن غيرهم من الأمم وهذه الميزة مستمدة من عاملين أساسيين:

الأول القرآن الكريم إذ أوجد نوعين من التلقي أحدهما مرتبط بالآخر ، هما التلقي الشفاهي و القراءة فالإنصات لتلاوة القرآن وهو تلق شفاهي سيظل ما بقيت للزمان بقية ، إذ لا يكتفي بقراءة القرآن فلا بد من السماع و السماع تلق شفاهي دون شك و الآخر هو الشعر والشعر العربي ينشد و يغني أي بحاجة إلى متلق شفاهي [2].

ومع مرور الزمن أخذ الإهتمام بالمتلقي السامع يتضاءل وبدأ الإهتمام بالقارئ يحتل الصدارة و استبدل مصطلح الجمهور المستمع أو المستقبل بالقارئ .

أقر تودوروف أن الحكم على النص الأدبي مرتبط أساسا ببنيته إلا أن هذا ليس العامل الوحيد في الحكم عليه فلا بد من التخلي عن فكرة اقتطاع العمل من قارئه ، فقيمة العمل لا تظهر إلا من خلال إستنطاقه من قبل القارئ ، فهو الذي يعطي له هذه القيمة من خلال فك شفراته ، لذلك فقد أصبح للقراءة ثقلها في إبراز هوية النص ، فبعد أن كانت القراءة عبارة عن مسح بصري للنص و تفسير معجمي لألفاظه و معانيه ووسيلة

[1] – رشيد يحياوي ، شعرية النوع الأدبي ، أفريقيا للشرق ، ص133

[2] –محمد مبارك ، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى 1999، ص 285

مادية للتواصل أصبحت اليوم نشاطا إبداعيا و فعلا خلاقا نستطيع من خلالها تحديد كيفية التواصل كالكتابة نفسها.

لقد ركز النقد الحديث على موقع المتلقي و أهميته البالغة في العملية الإبداعية على أن هذا الأمر لم يخفى على نقادنا القدامى الذين خصوا القارئ بحيز كبير من مؤلفاتهم كابن طباطبا ، وقدامة بن جعفر وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني و حازم القرطاجني كل حاول دراسة القارئ و إعطاءه مكانته اللائقة و انتهت دراستهم إلى تحديد ثلاثة أقسام للقراء هم/ القارئ الإفتراضي أو المتخيل الذي تشكله مخيلة الشاعر وهو يبدع النص والقارئ الكامن في النص أو الضمني الذي يشكل النص وقد وجدت في تراثنا النقدي في تلك الأنماط الثلاثة من القراء.

وجاءت النظريات الغربية الحديثة لتولي إهتماما كبيرا بالقارئ خصوصا بعد إعلان بارث موت المؤلف و أصبح القارئ " **الموقع الحقيقي على شهادة ميلاد النص لأنه هو الذي يحكم على ما يتلقاه من أي أديب ، فهو الذي يضفي عليه بالتالي السمة الإبداعية أو قل هو الذي يقر له بها**"[1].

هذا القارئ يجب أن يكون قارئا جيدا، مثقفا ثقافة لا بأس بها قادرا على فك شفرات النص الأدبي و الدخول إلى أغواره ، وكشف معاني الجمال وموضع الإبداع فيه و من ثم الوصول إلى قراءة تكمن فيها لذة النص ، أي قراءة شاعرية للنص متجاوزا بذلك القراءة الإسقاطية و القراءة الشرحية كما يقسمها توذوروف عند حديثه عن القراءات التي تقع على النصوص الأدبية.

[1] –حبيب مونسي ، فعل القراءة النشأة والتحول ، ص161

وقد عرف مجال شعرية التلقي في العقود الأخيرة من القرن العشرين بروز ظاهرة التحليل إستنادا إلى عملية تصنيف القراء إلى درجة أضحى معها من الممكن نعت كل قارئ وفق منهج صاحبه ووفق توجهه في قراءة النص و إدراكه بصفة عامة ، هكذا يمكن الحديث مثلا عن :

القارئ المثالي لدى رومان إنغاردن وديدي كوست

القارئ التاريخي لدى هانس روبرت ياوس

القارئ الضمني لدى ولفغانغ أيزر

القارئ الهيدوني لدى رولان بارث

القارئ التخييلي لدى أومبرتو إيكو

القارئ المفكك لدى جاك دريدا

القارئ الجامع لدى ميشال ريفاتير

القارئ المستهدف لدى وولف

القارئ المخبر لدى ستانلي فيش

القارئ اللاعب لدى ميشال بيكار

القارئ المجرد لدى لينتفلت

المسرود له في السرديات لدى جيرالد بيرنس وغيره

ولمختلف أنواع هؤلاء القراء تحديات نظرية لا تملك لدى أصحابها أي وجود فعلي أو واقعي بقدر ما هي كيانات نصية و إفتراضية مثبتة في ثنايا النصوص وقد تكون في حد ذاتها معايير وإجراءات لتحليل النصوص وفهمها كما هي الحال مثلا لدى ريفاتير الذي جعل من قارئه الضمني الذي يعرفه بكونه"**بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن**

تحدده بالضرورة"[1]، أي أداة من بين أدوات أخرى لوصف التفاعل بين النص والقارئ في إطار نظرية الوقع الجمالي، ويمكن إدراكها بوصفها كيانات نصية بالكشف عنها من خلال مختلف قرائهم المفترضين سواء في الشعر أو الرواية أو القصة أو المسرح.

3. مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة:

ونحاول فيما يلي تحديد مستويات تلقي الإمتاع والمؤنسة بالإعتماد على طبيعة المتلقين لهذه النصوص ، فمن خلال ما سبق الحديث عنه عن ظروف نشأة كتاب الإمتاع و المؤانسة نلاحظ أن الكتاب مر بمرحلتين مهمتين هما : مرحلة المشافهة ومرحلة الكتاب من هنا يمكن الحديث عن مستوين للتلقي ، **مستوى شفاهي ومستوى كتابي** ، على المستوى الشفاهي يمكن القول أن ابن العارض هو المتلقي والمستمع الأول لنصوص الإمتاع والمؤانسة.

أ.متلق سامع:

يمثل الوزير ابن العارض المتلقي السامع لأحاديث الإمتاع والمؤانسة ومن خلال تتبعنا لمسار الليالي يمكننا إستنتاج مواصفات هذا المستمع ، فابن العارض هو صاحب مجلس ومقام ،يحظى بمكانة إجتماعية و سياسية مرموقة مكنته من فرض جملة الشروط على مسامره أبي حيان وما كان من هذا الأخير سوى الخضوع لهذه الشروط حتى ينال رضى الوزير يقول الوزير " **أجبني عن ذلك بإسترسال و سكون بال ، بملئ فيك ، وجم خاطرك ، و حاضر علمك ،ودع عنك تفنن البغداديين ..... مع عفو لفظك و زائد رأيك ، وربح ذهنك ، ولا تجبن جبن الضعفاء ولا تتأطر تأطر الأغبياء ،**

[1] – فولفغانغ إيزر ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب ، ترجمة حميد لحميداني ، الجيلالي الكدية منشورات مكتبة المناهل، ص30

و اجزم إذا قلت ، وبالغ إذا وصفت وأصدق إذا أسندت و افصل إذا حكمت إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تهاديا" [1].

إستطاع الوزير من خلال هذه الشروط التي فرضها على المتكلم أن يعطينا تصورا متكاملا عن طبيعة الكلام في مجلسه من حيث طريقة الكلام في مجلسه و طريقة الآداء و كيفيته و محتواه وقد ركز على مفهومي الاسترسال و الإطناب لأن الاسترسال يعطي للسامع إحساسا بالثقة في المتكلم و الدخول معه في العوالم التي يتحدث فيها دون تدخل أي مشوش من المشوشات" **كما أن الإطناب يساهم في تقديم الجزئيات و التفاصيل التي يحتاج إليها السامع لملء مختلف الفجوات أو الثغرات التي يمكن أن تنتج لو تم إعتماد الايماء أو الايحاء"** [2]، فالإسترسال و الإطناب وجهان لعملة واحدة قوامها تتابع الكلام و انتظامه وفق نسق يقوم على التفاعل التام بين المتكلم والسامع.

إننا من خلال هذه الشروط نعي تماما أننا أمام متلقي واعي مثقف مطلع يعرف أن الاسترسال و الإطناب يحققان الإمتلاء و الإكتفاء المعرفي لدى القارئ ونجد الوزير يعبر عن ذلك بعبارات مختلفة " **هذا كلام تام**"[3]، " **هذا في الحسن نهاية وقد اكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء زمان وتفريغ قلب و إصغاء جديد** "[4]، " **هذا قدر كاف**"[5]، " **لقد شردت النوم عن عيني و ملأت قلبي عجبا**"[6].

---

[1] - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1،ص 22

[2] - سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم و تجليات، ص 158

[3] - أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق، ج1،ص35

[4] - المصدر نفسه، ص 36

[5] - المصدر نفسه ، ص 56

[6] - المصدر نفسه ، ص 285

كما أنهما يعطيان للسامع الثقة فيما يتلقى من محاوره " **لأن في الإسترسال دلالة على كون المتكلم يتحدث عفو الخاطر دون تصنع أو تفنن زائف كما أن الإطناب يعني إحاطة شاملة بالموضوع بمختلف جوانبه**"[1] .ومن جهة ثانية ركز الوزير في شروطه على تحري الصدق و الدقة و إستعمال السند ، وطالب التوحيدي بأن يكون شجاعا في الإدلاء برأيه يقول الوزير"**و لا تجبن جبن الضعفاء ولا تتأطر تأطر الأغبياء ، وأجزم إذاقلت وبالغ إذا وصفت ،و أصدق إذا أسندت و أفصل إذا حكمت إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تهاديا**"[2] ويذهب الوزير إلى أبعد من هذا إذ يحرص على التدقيق والتحقيق من صحة ما يروى له حتى لو اضطر إلى العودة بنفسه إلى الأمور التي تروى و التأكيد من صحتها وسلامتها بنفسه يقول" **وكن على بصيرة أني سأستدل مما أسمعه منك من جوابك عنه على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه**"[3].

إن مجمل الشروط المفروضة على التوحيدي تنم عن معرفة ووعي الوزير المتلقي بمعايير وبلاغة الخطاب الشفوي ، ومعرفة لشخصية محاوره ونفسيته ويظهر من خلال الأسئلة التي كان يطرحها وجود موقف من الندية و المنافسة على مستوى الثقافة بين الرجلين.

أما الوزير فكان متعطشا لكل أنواع المعرفة و أصر أن يستفيد من ثقافة الوزير إلى أبعد الحدود و تعرضه لقضايا دقيقة وصعبة يؤكد عمق ثقافته وقد إعترف له أبو سليمان

[1] -سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتجليات نص 159

[2] - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ص 22

[3] -المصدر نفسه ، ص 23

المنطقي بإقتداره على طرح الأسئلة الدقيقة قائلا " **هذه مسائل المتحكمين ، وطلبات المدللين ، و إقتراحات المقتدين و منية الأولين و الآخرين** "[1].

وذكر أحمد أمين أن تكوين إبن العارض و ثقافته الثرية راجع إلى المنتدى الذي كان ينعقد في وزارته و يجمع جملة من العلماء و الأدباء منهم ابن زرعة الفيلسوف النصراني و ابن مسكويه صاحب "تهذيب الأخلاق" و " تجارب الأمم" و أبو الوفاء المهندس و أبو سعيد بهرام بن أردشير و إبن حجاج الشاعر الماجن و أبو عبيد الخطيب الكاتب و أبو حيان[2].

كما أن السمة المميزة للعصر هي إنتماء الوزراء إلى الفئة المثقة من بينهم عضد الدولة و الوزير المهلبي و ابن العميد وابن عباد و قد وصف التوحيدي ندماءهم فقال " **ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ..... و أن جميع ندماء المهلبي لا يفون بواحد من هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم و أن ابن عباد إلا الجدل الذي يشفون ويحمقون و يتصايحون**"[3]، فلا عجب أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي نحن بصدده كتاب الإمتاع والمؤانسة [4].

إن تمتع ابن العارض بثقافة موسوعية جعلته متلقيا متميزا مقارنة بأصحاب المجالس في ذلك العصر.

أما من حيث المكانة الإجتماعية و السياسية يمكننا القول أن ابن العارض متلق خاص كان له مجلسه الخاص و المميز ، وهي سمة ميزت الوزراء في القرن الرابع الهجري ، إذ

[1] – أبو حيان التوحيدي التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج3، 356

[2] – المصدر نفسه ، مقدمة احمد أمين، ج1، ص ط

[3] – المصدر نفسه ، ج1، ص ص ط ، ي

[4] –المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

كان كل واحد يقيم مجلسه الخاص و يختار فيه ندماءه ومسامريه و لا يحضره عامة الناس، وحتى و إن لم يكن لديه مجلس فإنه لا يختلط مع العامة في مجالس القص و السمر بل كان يجلس في مكان أعلى بعيدا عن العامة حتى لا يختلط بهم لأن في إختلاطه بهم حط من قيمته ، و في أحيان كثيرة كان تلقي الخاصة لندمائهم " **يكون من وراء ستارة و كان الخليفة لا يظهر تماهيه مع مرويات الندماء و نوادرهم إلا في بعض الأحوال التي شذت عن الأصل ، وجلوس الخليفة في فضاءه الخاص عند إستماعه أحاديث المنادمين هو الذي جعل ابن اسحاق الموصلي يغضب عندما خرق المتوكل هذا السنن الثقافي و إختلط بأصحاب السماجة حتى كأنه واحد منهم ولذلك إستمع المتوكل جيدا لنصيحة ابن إسحاق و بنى له مجلسا مشرفا ينظر إلى السماجة دون أن يتماهى معهم في أدوارهم الراقصة**[1]".

و لم يخرج الوزيرابن العارض عن هذه القاعدة فلم يكن مجلسه مفتوحا للعامة و قد إختار مسامره التوحيدي بكل عناية بعدما سمع من أخبار عن علمه و ثقافته الواسعة حيث يقول في الليلة الأولى " **قد سألت عنك شيخنا أبا الوفاء فذكر أنك مراع لأمر البيمارستان من جهته ، وإن أربأبك عن ذلك ،ولعلي أعرضك لشيء أنبه من هذا و أجدى ، و لذلك فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة و التأنيس ، و لأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة ترد في نفسي على مر الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكني أنثرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح و يعرض**"[2].

[1] – ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكاليات التأويل، ص 326

[2] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص22

إن خصوصية مجلس ابن العارض جعلته يتحرى الدقة في إختيار مسامره أبي حيان وهذا ما أشعره فيما بعد بالثقة فيما يعرض عليه لأنه على يقين من أن التوحيدي قد بدل جهده في البحث ليجيبه عن إنشغالاته من جهة لما يتمتع به من ثقافة موسوعية و من جهة ثانية حتى يحافظ على منزلته في المجلس وينال الحضوة والمال.

وتظهر سلطة المتلقي الخاص (ابن العارض) ليس في إختيار مسامره فقط بل تتعداها إلى أبعد من ذلك من خلال إختياره لمواضيع محاوراته مع التوحيدي إذ كان يختار كل ليلة موضوعا للنقاش ، كان الوزير يسأل و التوحيدي يسترسل في الإجابة دون توقف إلى غاية أن يأذن الوزير أو يصرح بإنهاء الليلة ، وهذا الإسترسال يجنب المستمع مشقة تأويل المعنى ، يقول الوزير " **أول ما أسألك عنه حديث أبو سليمان المنطقي كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا ، فقد بلغني أنك جاره و معاشره و لصيقه و ملازمه وقافي خطوه و أثره ، وحافظ غاية خبره**" [1]، ويقول في موضع آخر " **ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، و تقريب البغية التي كانت داخلة في نفسي منهم ، حدثني عن مذاهبهم في النفس و ما يقولون فيها ، و إلى أين ينتهون من يقينهم بشأنها ، وكيف ثقتهم ببقائها بعد فناء أبدانها** "[2].

إن الأسئلة التي يطرحها التوحيدي هي أسئلة مولدة للحديث من جهة تؤكد لنا أننا أمام متلق مثقف و من جهة ثانية تساعد المتكلم على إستحضار معارفه و سردها على المتلقي بحسب طبيعة الموضوع ، و لم يبخل التوحيدي على الوزير فتحدث في شتى المواضيع ، في الفلسفة و الدين و الأدب و العلوم وغيرها.

[1] -أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ،ص 29

[2] -المصدر نفسه ، ج1،ص34

نتبين أيضا من أسئلة الوزير أنه كان عارفا بما يجري حوله و لم يكن غافلا منغمسا في الملذات يقول " **حدثني أبو الوفاء المهندس عنك حديث الخراساني فأريد أن أسمعه منك .... بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسل ساجستان لما و يظل عندهم طاعما ناعما ، و يأنس بأنك معه فمن يحضر ذلك المكان**"[1].

إن فرض الوزير لمواضيع السمر يؤكد السلطة التي يتمتع بها و يؤكد كذلك الفارق الإجتماعي بين الرجلين و هذا ما دفع بالتوحيدي إلى الإحتراس في المسامرات مراعاة لدرجة المتلقي و سلطته السياسية إلا أن هذا لم يمنعه في بعض الأحيان من الإفلات من قبضة الوزير و عدم التقيد بكل ما يطلب منه و الحديث في مواضيع يحددها هو إذ نجده يقول "**عندي حديث و لا شك أن الوزير مطلع عليه عارف به**" [2] ، فالعادة أن يختار الوزير موضوع المحادثة يسأل و التوحيدي يجيب لكن الأمر إختلف هذه الليلة فقد حاول التوحيدي إثارة فضول الوزير من أجل فرض موضوع الحديث بأسلوب ذكي و يمرر ما يريد تمريره من أخبار دون إثارة غضب الوزير، و على غير عادته إفتتح الليلة بكلمات المدح و الإطراء قائلا " **وجرى ليلة بحضرة الوزير_ أعلى الله كلمته و أدام غبطته و والى نعمته_ أحق من دعي له و أشرف من بوهي به و أكمل من شوهد في عصره ، حديث ابن يوسف و ماهو عليه من غثاثته و رثاثته و عيارته و خساسته**" [3] من أجل استرضاء الوزير حتى أنه إختار راويا آخر للحديث يتخفى وراءه و هو أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي الذي نقل له الحديث لأنه حاول نقل هموم العامة

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج1، ص38

[2] – المصدر نفسه ، ج3،ص 380

[3] –المصدر نفسه، الصفحة نفسها

للسلطة و دعوة السلطة للتعرف على الوضع السياسي من خلال وعي العامة بواقع الحال والعصر.

إن وعي المتلقي بما يجري حوله جعل التوحيدي يقع في مواقف محرجة ذلك أنه طلب منه أن ينقل إليه بعض الأحاديث التي كانت تدور حوله يقول " **حدثني عما تسمع من العامة في حديثنا**"[1]و يجيب التوحيدي قائلا " **سمعت بباب الطاق قوما يقولون ، اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب المركب صاحوا وضحكوا و ذكروا غلاء القوت و عوز الطعام و تعذر الكسب و غلبة الفقر و تهتك صاحب العيال ، وإنه أجابهم بجواب مر مع قطوب الوجه و إظهار التبرم بالإستغاثة : بعد لم تأكلوا النخالة**"[2].

لم يكن الوزير يعلم أن رأي العامة فيه سيكون على هذا النحو فاستاء للأمر و أنكره تماما و أعرب عن سخطه قائلا" **والله ما قلت هذا ، ولا خطر لي على بال و لم أقابل عامة جاهلة ضعيفة جائعة بمثل هذه الكلمة الخشناء ، وهذا يقوله من طرح الشر ، وأحب الفساد و قصد التشنيع علي و الإيحاش مني وهو هذا العدو الكلب _ يعني ابن يوسف_ كفاني الله شره ،وشغله بنفسه و نكس كيده على رأسه**"[3]، وكان هدف التوحيدي نقل هذا الحديث و إيصال معاناة العامة إلى الوزير بطريقة لا تثير غضبه.

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ص 177

[2] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] – المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

يظهر الوزير في كثير من الأحيان كمتلق معياري يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه ،هذه الأحكام التي يصدرها الوزير من حين لآخر تدل على مدى التفاعل الحاصل بينه وبين أبي حيان ومدى تجاوبه و إهتمامه بما يلقى عليه يقول " **أحسنت في هذه الروايات على هذه التوشيحات و أعجبني ترحمك على شيخك أبي سعيد فما كل أحد يسمح بهذا في مثل هذا المقام و ما كل أحد يأبه لهذا الفعل**"[1].

لم تكن التعليقات أو الأحكام التي يلقيها الوزيرنابعة من فراغ و إنما جاءت نتيجة تدبر و تفكر في كل ما يلقى عليه من قبل التوحيدي الذي كان يصرح أحيانا ويراوغ أحيانا أخرى في إجاباته ، وإن لم يكن الوزير يستمع بتمعن ووعي لكل ما يلقى إليه ما استطاع أن يصل إلى المعاني التي قصدها التوحيدي و ما إستطاع أن يصل إلى إصدار أحكام و تعليقات تساهم في إثراء النقاش.

ساهم التفاعل و التجاوب مع المتكلم في جعل الوزير متلقيا إيجابيا يشارك السارد في نسج البنية السردية و لا يكتفي بمجرد السماع فقط بل دفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه مع الراوي و مشاركته في الحوار، يظهر هذا التفاعل جليا من خلال الأسئلة التي كان يطرحها الوزير على التوحيدي و التي كانت تساهم في نسج البنية السردية لنصوص الإمتاع والمؤانسة يقول " **ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت داخلة في نفسي منهم ، حدثني عن مذاهبهم في النفس و ما يقولون فيها ، و إلى أين ينتهون من يقينهم بشأنها و كيف ثقتهم ببقائهم بعد فناء أبدانها**"[2]، وعلى مر الليالي نجد الوزير لا يفوت فرصة إلاإستزادة في طلب العلم

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ص 28

[2] – المصدر نفسه، ص 34

و المعرفة، فنجده يتقصى أحوال الناس من أدباء و شعراء و فلاسفة ووزراء حتى أنه طلب من أبي حيان أن يخط له رسالة يصف فيها ابن عباد يقول " **إني أريد أن أسألك عن ابن عباد فقد انتجعته و خبرته و حضرت مجلسه ، وعن أخلاقه و مذهبه و عادته ، وعن علمه و بلاغته ، وغالب ما هو عليه و مغلوب ما لديه ، فما أظن أني أجد مثلك في الخير عنه و الوصف له ، على أني شاهدته بهمدان لما وافى ولكني لم أعجمه لأن الليث كان قليلا و الشغل كان عظيما والعائق كان واقعا**"[1]، ومن شدة حرصه على معرفة أدق التفاصيل طلب من أبي حيان نسخ رسالة له" **دع هذا كله ، وانسخ لي الرسالة من المسودة ولا يمنعك ذلك فإن العين لا ترمقها و الأذن لا تسمعها و اليد لا تنسخها**"[2]

وقد كانت أسئلة الوزير توقع التوحيدي في مواقف محرجة كثيرة ، و لو كان الوزير مجرد مستمع عادي يستقبل الحديث دون أن يبدي أي رد فعل كما كانت نصوص الليالي بهذا الغنى من ناحية الشكل و المضمون.

يظهر ابن العارض في كثير من الأحيان متفاعلا مع السرد إيجابيا في ردوده على التوحيدي مبديا رأيه يقول " **هذا فن حسن ، و أظنك لو تصديت للقصص و الكلام على الجميع لكان لك حظ وافر من السامعين العاملين و الخاضعين و المحافظين**" [3].

لكننا في أحيان أخرى نجده سلبيا غائبا لا يبدي تفاعلا مع التوحيدي وعدم تدخله ربما يرجع إلى أنه لا يملك خبرة في الموضوع المطروح في المجلس و يبدو ابن العارض غائبا في

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، ص 44

[2] – المصدر نفسه ، ص45

[3] – المصدر نفسه ،ص 159

اليلة العاشرة في حديثه عن نوادر الحيوان يقول التوحيدي " **و إني قصصت هذا الفصل على الوزير كبت الله كل شانئ له في ليلتين**"[1].

ب.متلق قارئ:

إن إنتقال نصوص الإمتاع و المؤانسة من المشافهة إلى الكتابة قادنا إلى الحديث عن نوع جديد من المتلقين ألا وهو القارئ ، والقارئ هو "**ذلك الذي يقوم بدور المتلقي والمميز(أي الوظيفة النقدية الأساسية المتمثلة في القبول و الرفض) وهو في أحيان خاصة المنتج الذي يحاكي أو يعارض مؤلفا سابقا سواء قام بذلك كله مرة واحدة أو بكل دور على حدة**"[2].

يمثل أبو الوفاء المهندس القارئ الأول لكتاب الإمتاع و المؤانسة وله يرجع الفضل في كتابة نصوص الليالي و الخروج بها من مجلس الوزيرلتصبح في متناول العامة من الناس.

لقد كان لأبي الوفاء المهندس الفضل الكبير في إحداث تغيير في حياة التوحيدي بعد الشقاء الذي لحق به طوال حياته" **وذكرت في الجملة شقاء إتصل بك في سفرك ذلك، وعناء نال منك في عرض أحوالك ، ولعمري إن السفر فعول لهذا كله و لأكثر منهم فأرعيتك بصري ، و أعرتك سمعي وساهمتك في جميع ما وقرته في أذني بالجزع و التوجع و الإستفضاع و التفجع و ضمنت لك تلافي ذلك كله بحاق الشفقة و خالص الضمير،ووعدتك صالح الحال من ثبات النية وصحة العقيدة**"[3].

---

[1] – أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة ،ص 138

[2] –محمد العمري ، نحو جمالية للتلقي ، تقديم جان ستاروباتسكي للترجمة الفرنسية لكتاب روبارت ياوس ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد6 ، ص 41

[3] – المصدر نفسه ،ج1،ص10

وقد أسدى أبو الوفاء لصديقه جميلا بأن جعله في جملة خدم البيمرستان ثم وصله بالوزير ابن العارض ، وكان أبو الوفاء من ندماءهم وقد وصفه ابن العارض في جملة ما وصف من أصحابه فقال " **و أما أبو الوفاء فهو والله ما يقعد به من المؤانسة الطيبة و المساعدة المطربة و المفاكهة اللذيذة و المواتاة الشهية إلا أن لفظة خراساني و إشارته ناقصة هذا مع ما إستفاده بمقامه الطويل ببغداد و البغدادي إذا تخرسن كان أعلى و أظرف من الخراساني إذا تبغدد**"[1].

لقد كان أبو الوفاء القارئ المعاصر لزمن إنتاج الخطاب ولعل طبيعة القارئ المثقف هي النقد و التحليل و التأويل و أحيانا الرفض أو القبول ، و الطبيعي أن تبدأ عملية النقد و التحليل بعد الإنتهاء من عملية الكتابة حيث يمكن للقارئ قراءة النص و الحكم عليه لكن الملاحظ أن قارئنا أبو الوفاء بدأت علاقته بنصوص الإمتاع و المؤانسة قبل أن تكتب ، و بما أنه كان الوسيط بين التوحيدي و ابن العارض رأى أن من حقه أن يطلع على كل ما دار بينهما في المجلس و يبدو أن سلطته لم تنته عند حد الوساطة بل تطاولت إلى حد التجسس عليهما وحين تيقن من نوايا أبي حيان في أنه لن ينقل إليه بأمانة ما جرى بينهما لهذا جاء تهديده صريحا برقابته عليه قائلا " **أفكان من حقي عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها وفي أخواتها التي تركتها كراهة بك أنك تخلو بالوزير أدام الله أيامه ليالي متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب و تريد ، وتلقي إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ، ولعل في عرض ذلك تغدو طورك**

[1] -أبو حيان التوحيدي،الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة أحمد أمين ،ص ص ي ك

بالتشدق و تجاوز حدك بالإستغفار و تتطاول إلى ما ليس لك ، وتغلط في نفسك ، وتنسى زلة العالم و سقطة المتحري و خجلة الواثق"[1] .

لم يكن أبو الوفاء قارئا عاديا و إنما قارئا صاحب سلطة ، وسلطته هذه هي التي جعلته يحظى بهذا الدور(القارئ) فهو من طلب من التوحيدي أن يكتب كل ما يجري بينه وبين الوزي يقول " **إلا أن تطلعني طلع جميع ما تحاورتما و تجاذبتما هذب الحديث عليه، و تصرفتما في هزله وجده وخيره وشره و طيبه و خبيثه،و باديه ومكتومه حتى كأني كنت شاهدا معكما و رقيبا عليكما أو متوسطا بينكما**"[2].يظهر من كلام أبي الوفاء المهندس أن التوحيدي رفض أن يطلع أبا الوفاء على مضمون تلك المسامرات فجاء رد الوسيط عنيفا ، حيث استعمل صيغة الأمر مطالبا أبا حيان بأن يكون الخطاب المكتوب مطابقا للخطاب المنطوق ، ويمثل هذا الأمر دعوة للكتابة المشروطة.

وتجاوزت سلطة القارئ الأمر بالكتابة ووصلت حد التهديد و الوعيد فيظهر أبو الوفاء آمرا مقتدرا في حين يظهر التوحيدي مأمورا مغلوبا على أمره ،فيقول أبو الوفاء" **و متى لم تفعل فانتظر عقب استيحاشي منك و توقع قلة غفولي عنك ،و كأني بك وقد أصبحت حران حيران يا أبا حيان ، تأكل إصبعك أسفا و تزدرد ريقك لهفا على ما فاتك من الحوطة لنفسك ، و النظر في يومك لغدك**"[3].

لقد حاول أبو الوفاء إستعمال كل أساليب التهديد و الإهانة و الإستحقار من أجل الوصول إلى مبتغاه ، وهو الإطلاع على كل ما يجري في مجلس الوزير وقد نجح في

[1] – أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة ،ج1،ص12

[2] – المصدر نفسه ،ج1،ص13

[3] – أالمصدر نفسه، الصفحة نفسها

ذلك إذ نجد التوحيدي يعتذر و يلبي الأمر خوفا من مغبة ما سيلقاه إن خالف رغبة أبو الوفاء يقول " **أنا سامع مطيع و خادم شكور ، لا أشتري سخطك بكل صفراء و بيضاء في الدنيا ، ولا أنفر من إلتزام الذنب و الإعتراف بالتقصير ، وقلبي يهفو و يجمع و مثلك يعفو ويصفح ، وأنت مولى وانا عبد ، وانت آمر وأنا مؤتمر و أنت ممثل وأنا ممتثل و أنت مصطنع و أنا صنيعة**"[1].

يقر أيزر أن متعة القارئ تبدأ " **عندما يصبح هو نفسه منتجا أي عندما يسمح النص له بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الإعتبار** " [2] ، حيث يقوم القارئ بإنتاج نص جديد مواز لنص المؤلف عن طريق آليات القراءة المختلفة و مع ظهور مقولة موت المؤلف أصبح القارئ " **الموقع الحقيقي على شهادة حياة النص لأنه الذي يحكم على ما يتلقاه من أي أديب ، فهو الذي يضفي عليه بالتالي السمة الإبداعية أو قل هو الذي يقر له بها**"[3]، إلا أن هذه المقولة لا تنطبق على نصوص الإمتاع والمؤانسة ، فأبو الوفاء المهندس لم يكن القارئ فقط و إنما كان الموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدي بكتابتها و لم يكتف بهذا الأمر بل تعداه إلى إملاء جملة من الشروط التي تزيد من جودة العمل ونجاحه و التي تؤكد الوظيفة الإخبارية يقول"**و إذا عزمت فتوكل على الله و ليكن الحديث على تباعد أطرافه و إختلاف فنونه مشروحا ، و الإسناد عاليا متصلا ، و المتن تاما بينا و اللفظ خفيفا لطيفا ، والتصريح غالبا متصدرا ، والتعريض قليلا يسيرا ، وتوخ الحق في تضاعيفه و أثناءه ، والصدق في**

[1] -أبو حيان التوحيدي،الإمتاع و المؤانسة ،ص14

[2] -فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة ، ص56

[3] -حبيب مونسي ، فعل القراءة النشاة والتحول، ص 161

إيضاحه و إثباته ، واتق الحدف المخل بالمعنى ، والإلحاق المتصل بالهذر، و احذر تزيينه بما يشينه و تكثيره بما يقلله عما لا يستغنيه عنه ، وأعمد إلى الحسن فزد من حسنه ، و إلى القبيح فأنقص من قبحه و أقصد إمتاعي بجمعة نظمه ونثره ،وإفادتي من أوله إلى آخره فلعل هذه المثاقفة تبقى و تروى ، ويكون في ذلك حسن الذكرى، ولا تومئ إلى ما يكون الإفصاح عنه أحلى من السمع و أعذب من النفس و أعلق ، و لا تفصح عما تكون الكناية عنه أستر للعيب و أنفى للريب"[1].

إن هذه الشروط التي فرضها أبو الوفاء على التوحيدي تتجه إلى المعيارية التي تحدد المقبول و اللامقبول من الكلام والمسموع و المرفوض سرده من ناحية الصواب والخطأ، الإثبات والحدف و التكثير و التقليل و الحسن و القبيح ، والإفصاح و الكناية و الريب و العيب والحقيقة و ليس المهم عنده التمييز بين الشعر و النثر بقدر ما يهمه وصول الإمتاع و هو الهدف المنشود.

يفرض أبو الوفاء شروط أخرى لكيفية الكناية كعدم إلتزام التكلف في العمل لأنه قد يؤدي إلى طغيان الخيال و الوهم الذي يعتبر في نظره شديد الإنتشار و الطغيان على اللسان و الكلام يقول" **الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل إنسان ، ولا يصحب كل لسان ، وخطره كثير ، متعاطيه مغرور وله أرن كأرن المهر و إناء كإناء الحروف، وزهو كزهو الملك ، وخفق كخفق البرق وهو يتسهل مرة و يتعسر مرارا و يذل طورا و يعز أطوارا ، ومادته من العقل و العقل سريع الحؤول ، خفي الخداع، وطريقه على الوهم ، والوهم شديد السيلان ومجراه على اللسان ،**

[1] -أبو حيان التوحيدي الإمتاع و المؤانسة،ج1، ص 15

واللسان كثير الطغيان ، وهو مركب من اللفظ اللغوي و الصوغ الطباعي ، والتأليف الصناعي ، والإستعمال الإصطلاحي"[1].

لم يكن أبو الوفاء متلقيا عاديا و إنما كان قارئا خبيرا واعيا مثقفا ناقدا إستطاع من خلال ثقافته إدراك طبيعة العمل الفني فنجده يتحدث عن التعبير الفني ووظائفه إبتداءا من مرحلة معاناة المبدع و هي مرحلة مصاحبة للكلام سابقة لمرحلة التركيب ثم ينتقل لحديث عن الطبيعة التركيبية للكلام ، اللفظ اللغوي ، والصوغ الطباعي ، والتأليف الصناعي ، ثم ينتقل إلى تداول الكلام أي الطبيعة الإصطلاحية للغة ثم يختتم بالحديث عن الوظيفة الرمزية المتصلة بالتأويل"**وبهذا البون يقع التباين و يتسع التأويل**"[2].

إن هذا الحديث يدل على وعي أبي الوفاء بوظائف اللغة وكل ما يخشاه هو أن يتراح التوحيدي إلى الوهم فتأتي الصلة بين اللفظ و المعنى متبانة.

عادة ما يكون القارئ غائبا في الخطاب المكتوب وحتى وإن كان حاضرا فهو مجهول غير محدد في كثير من الأحيان ،لكن الأمر يختلف في نصوص الإمتاع والمؤانسة إذ نجد قارئنا أبا الوفاء الحاضر الغائب في الخطاب من خلال الرسالة المبثوثة في المقدمة والتي أملى من خلالها شروطه ، وقد وضعها التوحيدي في مقدمة الكتاب لأن أبا الوفاء كان صاحب سلطة عليه فكان مضطرا لأن يقوله بدوره في إنتاج هذه النصوص و على الوجه الذي يرضاه.

[1] – أبو حيان التوحيدي الإمتاع و المؤانسة ،ص 15

[2] _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

يظهر منذ الوهلة الأولى أن أبا الوفاء هو المتلقي الأول للخطاب المكتوب يقول التوحيدي" **وصلت أيها الشيخ أطال الله حياتك أول ليلة إلى مجلس الوزير**"[1]، فهو متلق غائب في الحديث و حاضر في الكتابة ، وعلى الرغم من أننا لا نرى تدخلاته و لا نسمع صوته في الخطاب و لكن التوحيدي يذكرنا بين الحين و الآخر أن الخطاب موجه إليه يقول " **ثم إني أيها الشيخ _أحياك الله لأهل العلم و أحي بك طالبيه ، ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر الفرات**" [2]، كما أنه يوجه إليه الحديث في خاتمة الجزء الأول من الكتاب يقول" **قد رأيت أيها الشيخ _حاطك الله عند بلوغي هذا الفصل أن أختم الجزء الأول بما إنتهى إليه ،و أشفعه بالجزء الثاني على سياج ما سلف نظمه ونثره، غير عائج على ترتيب يحفظ صورة التنيف على العادة الجارية لأهله ، وعذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأن الحديث كان يجري على عواهنه بحسب السانح و الداعي ، وهذا الفن لا ينتظم أبدا لأن الإنسان لا يملك ماهو به وفيه ، وغنما يملك ما هو له وإليه ، وهذا فصل يحتاج إلى نفس مديد و رأي يصدر عن تأييد و تشديد و السلام و الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي و آله الطاهرين ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين و الحمد لله رب العالمين**" [3].

2_ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ،ج1،ص32

[2] – المصدر نفسه ،ج1، ص82

[3] –المصدر نفسه،ج1 ، ص160

والملاحظ هنا أن التوحيدي كان كلما انتهى من جزء بعثه إلى أبي الوفاء المهندس و أنه لم يراعي أي تصنيف أو ترتيب لنصوصه لأن هدفه كان سرد الأحاديث التي جرت بينه و بين الوزير خوفا من أن يطاله اللوم والعقاب.

في خاتمة الجزء الثاني نجده أيضا يوجه حديثه إلى أبي الوفاء مذكرا بأن الكتاب بأجزاءه الثلاثة موجها إليه يقول "**فأرجع و أقول قد أوصلت إليك الجزأين الأول والثاني على يد غلامك فائق ، وهذا الجزء الثالث قد والله نفثت فيه كل ماكان في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ،وساحب ونضير ، وفكاهة وطيب و أدب و إحتجاج ، واعتذار وإحتلال و إستدلال و أشياء من طريف المماحة على ما رسم لي ، وطلب مني ، و لأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري ستقف عليه و ستأنف نظرا في حالي .....**" [1].

كان أبو حيان يتوجه إلى أبي الوفاء المهندس بالحديث بين الحين والآخر مستعطفا إياه و مؤكدا على أنه لم يبخل عليه بشيء و أنه نقل إليه كل ما دار بينه و بين الوزيريقول "**وقد جمعت لك جميع ما شاهدته في هذه المدة الطويلة ليكون حظك من الكرم والمجد موفورا ، ونصيبي من إهتمامك بأمري وجذبك بباعي و إنقاذك إياي من أسري تاما.....**"[2].

و على الرغم من أن الحديث كان موجها إلى أبي الوفاء المهندس بالدرجة الأولى بإعتباره القارئ الأول إلا أننا لم نعثر في هذا الكتاب على رد له سواء بالإستحسان أو الإستهجان و يمكن أن نرجع ذلك إلى سببين : إما لأن أبا الوفاء كان راضيا عن

[1] -أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج2، ص279

[2] -المصدر نفسه ، ص 280

كيفية تدوين التوحيدي للمسامرات لأنه إلتزم بكل الشروط المفروضة عليه ، و إما أن تكون إجابته و تعليقاته مؤجلة إلى حين إستجماع المسامرات وتدوينها كلية و يرجع غياب إجابة المتلقي إلى طبيعة التواصلات الكتابية التي يغيب فيها المتلقي و تدخلاته.

لقد كان أبو الوفاء المهندس القارئ الأول لنصوص الإمتاع و المؤانسة لأنه صاحب الفضل في كتابتها إلا أننا يمكن أن نتحدث عن قراء آخرين لهذه النصوص ، وقد أقر إيكو " **بأن تعدد القراءة لا حد له ، ثم يضيف _عمليا_ أن القراءات تتوقف عندما يتوقف الشكل عن كونه مثيرا لنا**"[1]

ويمكن القول أن جانب الإثارة في النصوص يبقى قائما لأن القراء يختلفون بإختلاف الأمكنة و الأزمنة ، ولكل قارئ رؤيته و زاوية نظره التي يقرأ من خلالها النصوص.

ونلحظ من خلال الرسالة المدونة في إفتتاحية الكتاب أنها لم تكن موجهة فقط لأبي الوفاء المهندس بإعتباره القارئ الأول و المعاصر لجريان الخطاب و إنما كانت موجهة للقارئ الناقد الذي يختلف و يتعدد بتعدد الأزمنة و الأمكنة .

حاول التوحيدي تعريف قراءه المختلفين بمراحل إنجاز كتابه و الشروط المفروضة عليه،وهو من خلال مقدمته أراد أن يؤكد لقراء هذا الكتاب أنه قدم خلاصة فكره و تجاربه ، وأنه كان يستحق المكانة التي تبوأها في مجلس الوزير ابن العارض ، كما حاول إيصال المعاناة و الضغوطات التي سلطت عليه من قبل أبي الوفاء المهندس.

لقد مثلت هذه الوثيقة المفتاح لكل القراء من أجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير و لنا أن نتصور هذا الكتاب من دون هذه المقدمة هل كان باستطاعة متلقي نصوص الإمتاع والمؤانسة قراءة هذه النصوص وفهمها بنفس الطريقة؟ فالمسألة تتعقد كلما

1- حبيب مونسي ، فعل القراءة النشاة والتحول، ص 161

إبتعدنا زمانيا عن فترة إنتاج الكتاب ، فقارئ القرن الحالي يختلف عن قارئ القرن الرابع الهجري على جميع الأصعدة سواء كان قارئا عاديا أو ناقدا متمرسا وقد وعى التوحيدي هذا الفارق لذلك نجده برأ نفسه أمام المآخذ التي يمكن أن يأخذها عليه القارئ في المتن فيما يتعلق بتشتت النسق و البنية في الكتاب و حضور الخطاب الموجه مرارا إلى أبي الوفاء المهندس في متن الأجزاء الثلاثة.

متلق متكلم/كاتب:

يمثل أبو حيان التوحيدي المتكلم في الخطاب الشفوي و الكاتب في الخطاب المكتوب، فالتوحيدي تكلم وكتب لكن هذين الفعلين لم يأتيا من فراغ و إنما كانا نتيجة مجموعة من الشروط جعلته هو أيضا يحتل موقع المتلقي فقد كان متلقيا لشروط ابن العارض ثم لشروط أبي الوفاء المهندس ، متلقيا مغلوبا على أمره فهو العبد الضعيف الذي كان يبحث عن الجاه و الحضوة و المكانة الإجتماعية اللائقة به ، فكان لزاما عليه أن يقبل بالشروط المفروضة عليه خوفا من العقاب والحرمان.

يبدو التوحيدي متلقيا خاضعا حريصا على إرضاء الوزير من جهة ، و من جهة ثانية واثقا من واسع علمه و غزير ثقافته يقول "**فقلت قبل كل شيئ أريد أن أجاب عليه يكون ناصري على ما يراد مني فإني إن منعته نكلت و إن نكلت قل إفصاحي عما أطالب به و خفت الكساد ، وقد طمعت بالنفاق و انقليت بالخيبة وقد عقدت خنصري على المسألة**"[1].

وبدوره يملي التوحيدي شروطه و أهمها رفع الكلفة بين المتكلم و السامع ويرجع طلبه هذا إلى الفارق الكبير بين الرجلين من حيث موظف بسيط و يستدعي هذا التباين

[1] - ابو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص23

الإجتماعي أسلوبا في الحوار يقوم أساسا على مخاطبة الوزير بصيغة الجمع و الألقاب السامية و بالدعاء المتواصل ، يقول التوحيدي " **يؤذن لي في كاف المخاطبة و تاء المواجهة حتى اتخلص من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض ، فأركب جدد القول من غير تقية ولا تحاش ولا محاباة و لا انحياش**"[1].

طالب التوحيدي برفع الكلفة لتكون لديه حرية أكبر في الكلام فيكون الخطاب مسايرا لشروط السامع لا حرج فيه ولا تكلف .

و إذا نظرنا إلى الخطاب المكتوب نجد أن سلطة أبي الوفاء المهندس و شروطه تبدو أكثر حدة من سلطة الوزير إذ يبدو التوحيدي متلقيا مغلوبا على أمره فإذا كان قد قبل بشروط الوزير بصدر رحب لأنه كان يرى في إرضاءه نيلا للحظوة و الجاه ، فإن قبوله لشروط أبي الوفاء المهندس جاء تحت الضغط و التهديد ، فقد كان عليه القبول لأنه برفضه سيفقد كل ما ناله سابقا من جاه و حضوة و مكانة كان يحلم بها طوال حياته، يقول التوحيدي" **هذا وأنا أفعل ما طالبتني به من سرد جميع ذلك إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشمل على الدقيق و الجليل و الحلو والمر و الطري والعاسي و المحبوب والمكروه**"[2]

من هنا يقر التوحيدي أن فعل الكتابة جاء بأمر من أبي الوفاء المهندس وأنه سيفعل ذلك ويحتاج إلى وقت أطول حتى يستطيع نقل كل مادار في المجلس .

[1] – ابو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص23

[2] – المصدر نفسه،ج1، ص14

حاول التوحيدي إستمالة أبي الوفاء و إسترضاءه قائلا " **أقول أيها الشيخ عطف الله قلبك علي و ألهمك الإحسان إلي في جواب جميع ما قلته واجدا علي ، عاتبا وقابضاو باسطا ومرشدا و ناصحا، ما يعرف الحق فيه ويستبين الصواب منه غير خائن ولا جانح**"[1].

تظهر سلطة أبي الوفاء على التوحيدي واضحة من خلال إجابته يقول"**أأنا أدعك واجدا عليا ،و أرقد و أنت ماقت لي ، و أجد حس نعمة أنت وهبتها إلي ، وألذ عيش أنت أذقتني حلاوته ، أأنس أياديك وهي طوق رقبتي وتجاه عيني و حشو نفسي وراحة علمي وزاد حياتي ومادة روحي**"[2].

وقد حاول التوحيدي إقناعه بأنه لم ينس فضله عليه و الذي أوصله للمكانة التي تبوأها في مجلس الوزيرحتى يمتص غضبه و يخفف من حدة خطابه المليء بالتهديد والوعيد والحط من قيمته.

ومن جهة ثانية حاول تقديم التبريرات التي دفعته لكتمان ما كان يجري في مجلس الوزير" **فأول ما أبدؤك به أنني ظننت ظنا لاكيقين أن شيئا مما كنت فيه مع الوزير_أدام الله أيامه_ وقصم أعداءه ليس مما يهمك ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ، وحسبت أيضا أنني إن بدأت بشيء منه رذلتني عليه وتنقصتني به ،وزريت علي فيه ،و أنك ربما قلت لما بدأت بما لم أسألك عنه و لم أرفض لك فيه ، هلا كظمت**

[1] – أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة ،ص16

[2] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

علي جرتك و طويت ما بين جنبيك ، وما عليا مما يدور بين الصاحب وخادمه و الرؤساء و الناظرين في أمور الدهماء و المتصفحين لأحوال العامة والخاصة"[1].

من خلال هذا الحديث إستطاع التوحيدي أن يوهم أبا الوفاء بأنه كان يعتقد أن ماكان يجري بينه وبين الوزير لا يهمه لذلك لم يجرؤ على الحديث عنه ولما علم بمدى رغبته في الإطلاع عليه فإنه سيروي له كل الأحاديث يقول "**وإذا جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس بظني فإني أهدي ذلك كله بغثاثته وسمانته وحلاوته ومرارته ورقته و خثارته** "[2]

ومن هنا نستخلص أن التوحيدي كان متلقيا متجاوبا مع الوزير بإرادته لأنه كان يحاول أن ينال الحضوة إلا أنه كان من جهة ثانية متلقيا مضطرا مضطهدا راضخا لرغبته أبي الوفاء المهندس خوفا من أن يفقد ما ناله خلال مسامراته مع الوزير إلا أنه رغم ذلك كان ذكيا في تعامله مع الرجلين لأنه إستطاع إرضاءهما وتمرير أفكاره التي كانت في الكثير من الأحيان تتعارض مع أفكارهم.

[1] - أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة ،ج1،ص18

[2] _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

الخاتمة

الخاتمـــــــــة

أفضت هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها الكشف عن مستويات تلقي السرد في الإمتاع و المؤانسة إلى النتائج التالية:

كانت حياة التوحيدي سلسلة من الإخفاقات ،إذ لم يظفر بالحب و الترحاب من قبل الوزراء و الملوك إلا ما جاء استثناء على الرغم من سعة ثقافته ، وقدرته العلمية و الأدبية إلا أن هذا لم يشفع له على الإطلاق بأن يحظى بما يجب أن يكون عليه العالم والمفكر والأديب.

مر إنتاج الإمتاع و المؤانسة بمرحلتين ، مرحلة المشافهة و مرحلة الكتابة ، ولما جاءت الكتابة بسبب ظغوط الوسيط أبي الوفاء المهندس الذي يعتبر المتلقي الغائب للخطاب المكتوب، كان لزاما على التوحيدي الإستزادة من أجل ملء العديد من الفجوات لحصول المعنى و بلوغه إلى المتلقي.

إن التغييرات التي طرأت على الخطاب حين إنتقاله من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة، صحبتها تغييرات على مستوى المتلقي حيث تم الإنتقال من الحديث عن متلق سامع إلى متلق قارئ، هذا القارئ قد يكون معلوما أو مجهولا ، أما القارئ الأول هو أبو الوفاء المهندس ، والقارئ الثاني مجهول يتعدد مع مرور الأجيال ، ويمكن القول أنه كل شخص يعرف القراءة.

يرتكز مفهوم السرد التوحيدي على الخبر ، الذي يقوم عادة على رصد الأحداث و الأفعال التي تصدر عن الشخصيات و نقلها مع تحري الصدق، والحوار الذي يعتمد على تقنيات مختلفة منها السؤال، الذي احتل منذ الوهلة الأولى مكانة مهمة في محاورات التوحيدي مع الوزير فكان مفتتح الحوار في مختلف الجلسات ، و السؤال يستدعي

بالضرورة جوابا وهذا ما شكل نصوص الليالي ، بالإضافة إلى ذلك نجد التعليق الذي اعتمد عليه ابن العارض في تفاعله مع خطاب التوحيدي.

إعتمد التوحيدي في مسامراته على أسلوب الرواية الذي اتخذه وسيلة يتخفى وراءها للجهر ببعض آرائه التي كانت تتعارض و آراء الوزير ومن جهة أخرى لإعطاء مصداقية أكثر لمحاوراته ، ولتأكيد صدقه عزز رواياته بالإسناد الذي ارتبط أساسا بالحديث النبوي الشريف و صار فيما بعد جزءا من تقاليد البنية الثقافية ، ومظهرا تفرض العادة و تقاليد الرواية وجوده.

تعددت مصادر الحديث لدى التوحيدي ، فوجدناها لا تخرج عن عناصر ثلاثة هي :

الذاكرة :حيث كان التوحيدي يعتمد عليها كثيرا في الإجابة عن أسئلة ابن العارض،

المتصرفة : وهي كل ما تعلق بأقوال التوحيدي و تعليقاته التي كانت حاضرة على طول الليالي ، مع غلبة الجانب العقلي على الجانب التخيلي .

الحافظة : حيث تدل كثرة الأقوال والشواهد المنسوبة إلى أصحابها على قوة الحافظة لديه.

شكلت الثقافة الموسوعية لدى التوحيدي ، والتنوع المعرفي الذي كان يتمتع به تنوعا على مستوى المواضيع المسرودة ، فنجد الفلسفة ، المنطق، الأدب، الحكمة، الدين ، النوادر وحكايات المجون لأن التوحيدي كان فيلسوفا و نحويا و شاعرا و فقيها.

سلك التوحيدي في مسامراته مسلك شهرزاد من حيث تقسيم الكتاب إلى ليال متتابعة لكن ما يميزه هو إختتامه بما أطلق عليه ملحة الوداع و هي عادة ما تكون حديثا طريفا يختتم به الجلسة عندما يشعر بالتعب و النعاس.

تميزت نصوص الإمتاع و المؤانسة بوجود نوعين من الرواة ،أولهما الراوي الغائب عن الحكاية التي يسردها ، يروي حكاية غيره ويطلق عليه الراوي الغيري ، وثانيهما الراوي الحاضر في الرواية التي يسردها ويطلق عليه الراوي الذاتي لأنه يسرد أحداثا هو بطلها ، وقد إستعان التوحيدي بشخصيات مختلفة منهم ساردين أو متحدثين وناقلين و أصحاب نادرة.

شكل المجلس الفضاء الذي جرت فيه المسامرات بين ابن العارض و التوحيدي ، حيث كان لإبن العرض مجلسه الخاص و المميز و هي سمة ميزت الوزراء في القرن الرابع الهجري حيث كان لكل مجلسه الذي إختار فيه ندماءه و مسامريه ، بل تعداه إلى أكثر من هذا إلى اختيار مواضيع مسامراته.

إختار التوحيدي الليل ليكون زمنا لمحادثاته مع ابن العارض بوصفه اللحظة التي ينطلق فيها الحكي ، فكان الإطار الذي جرى فيه سرد الأحاديث و تبادل المعرفة والمتعة ، وعلى هذا الأساس إتخذ التوحيدي من الليلة وحدة لتقسيم أحاديثه فجاءت مسامراته مقسمة إلى ليال إبتدأت من الليلة الأولى التي انعقد خلالها الإتفاق حول مشروع المثاقفة،إلى الليلة الأربعين التي تعد آخر ليلة جمعت الوزير مع التوحيدي ، والواضح أنه كان متأثرا في تقسيمه هذا بكتاب ألف ليلة وليلة.

شكل زمن الكتابة مرحلة زمانية ثانية من مراحل إنجاز كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ومن تم أصبح لهذه النصوص زمانيين متباعدين ، زمن الحكاية أو زمن الحدث وزمن الكتابة، هذا التباعد خلق نوعا من الإضطرابات في بنية الليالي.

مثل الوزير ابن العارض المتلقي السامع لأحاديث الإمتاع و المؤانسة ، وهو صاحب مجلس ومقام يحظى بمكانة إجتماعية وسياسية مرموقة مكنته من فرض جملة من الشروط

على مسامره، وهو متلق معياري يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه ،وهذا يدل على مدى التفاعل الحاصل بينه وبين أبي حيان ومدى تجاوبه واهتمامه بما يلقى عليه.

ساهم التفاعل و التجاوب مع المتكلم في جعل الوزير متلقيا إيجابيا، يشارك السارد في نسيج البنية السردية ولايكتفي بمجرد السماع فقط بل دفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه مع الراوي و مشاركته في الحوار ، يظهر هذا التفاعل جليا من خلال الأسئلة التي كان يطرحها الوزير على التوحيدي.

يظهر ابن العارض أحيانا متلقيا إيجابيا ، وأحيانا أخرى نجده سلبيا غائبا لا يبدي تفاعلا مع التوحيدي.

مثل أبو الوفاء المهندس المتلقي القارئ ، والقارئ الأول لكتاب الإمتاع و المؤانسة،وكان قارئا صاحب سلطة ، وسلطته هذه هي التي جعلته يحظى بهذا الدور (القارئ) ، فكان الموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدي بكتابتها و لم يكتف بهذا الأمر بل تعداه إلى إملاء جملة من الشروط التي تزيد من جودة العمل و نجاحه.

عادة ما يكون القارئ غائبا في الخطاب المكتوب ، وحتى وإن كان حاضرا فهو مجهول غير محدد في كثير من الأحيان ، لكن الأمر يختلف في نصوص الإمتاع و المؤانسة فقد كان أبو الوفاء القارئ الحاضر الغائب من خلال الرسالة المبثوثة في المقدمة والتي أملى من خلالها شروطه.

لم تكن الرسالة المبثوثة في المقدمة موجهة لأبي الوفاء لأنه لم يكن القارئ الوحيد لنصوص الإمتاع و المؤانسة ، و إنما كانت موجهة كذلك للقارئ الناقد الذي يختلف و يتعدد بتعدد الأزمنة والأمكنة ، ولهذا شكلت هذه الوثيقة المفتاح لكل القراء من أجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير ، ولنا أن نتصور هذا الكتاب من دون هذه المقدمة!

هل كان باستطاعة متلقي نصوص الإمتاع والمؤانسة قراءة هذه النصوص و فهمها بنفس الطريقة ؟ فقارئ القرن الحالي يختلف عن قارئ القرن الرابع الهجري على جميع الأصعدة، سواء كان قارئا عاديا أو ناقدا متمرسا .

مثل التوحيدي المتلقي المتكلم في الخطاب الشفوي / الكاتب في الخطاب المكتوب ، فقد كان متلقيا لشروط ابن العارض ثم لشروط أبي الوفاء المهندس ، متلقيا مغلوبا على أمره فهوذلك العبد الضعيف الذي كان يبحث عن الجاه و الحضوة و المكانة الإجتماعية اللائقة ، فكان لزاما عليه أن يقبل بالشروط المفروضة عليه خوفا من العقاب والحرمان.

L’idéologème	إيديولوجيم
L’attribution	الإسناد
Structure narrative	البنية السردية
Commentaire	التعليق
Reception	التلقي
Dialogue	الحوار
Discours	الخطاب
Discours écrit	الخطاب المكتوب
Discours oral	الخطاب الشفوي
Mémoire	الذاكرة
Narrateur	الراوي
Message	الرسالة
Temps	الزمن
Temps du recit	زمن السرد
Temps d’écriture	زمن الكتابة
Question	السؤال
Contexte	السياق

L’écouteur	السامع
Le code	الشفرة
L’éspace	الفضاء
Espace géographique	فضاء جغرافي
Espace textuel	فضاء نصي
Canal	قناة الإتصال
Parole	الكلام
Recepteur	متلقي
Recepteur positif	متلقي إيجابي
Recepteur special	متلقي خاص
Recepteur écouteur	متلقي سامع
Recepteur négatif	متلقي سلبي
Recepteur lécteur	متلقي قارئ
Recepteur intéractif	متلقي متفاعل
Patrimoine narratif	الموروث السردي
Document clé	الوثيقة المفتاح

قائمة المصادر
و
المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا_ القرآن الكريم

ثانيا _ المصادر

2_ التوحيدي أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، المجموعة الكاملة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور

3_ التوحيدي أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت_ لبنان

4_ التوحيدي أبو حيان ،المقابسات ، حققه وقدمه محمد توفيق حسن ط2، دار الآداب بيروت _ بغداد 1989

5_ التوحيدي أبو حيان الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضي، ط2، دار القاضي دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1989

6_ التوحيدي أبو حيان ، الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد أمين و السيد صقر لجنة التأليف والترجمة 1951

7_ الحموي ياقوت ، معجم الأدباء ،ج15 ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

ثالثا مراجع باللغة العربية

8_ أبو أحمد حامد ، الخطاب والقارئ، مركز الحضارة العربية، الطبعة الثانية،القاهرة 2003

9_ ابراهيم زكريا ، أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء الطبعة 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب

10_ ابراهيم عبد الله ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي،ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر 2000

11_ بحراوي حسن بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي ، ط1، 1990

12_ بلعلى أمنة ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ،دار الحوار للنشر و التوزيع ،سوريا ، ط1 ،1997

13_ بن تميم علي ، السرد و الظاهرة الدرامية ، دراسة في التجليات الدرامية في السرد العربي القديم ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،الغرب ط1، 2003

14_ التريكي فتحي،أفلاطون و الديالكتيكية، الدار التونسية للنشر تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986،ط2،

15_ حبيبي ميلود ، النص الأدبي بين التلقي و إعادة الإنتاج من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة ،كلية علوم التربية الرباط ، نظرية التلقي أشكال و تصنيفات

16 _الرفيق عبد الوهاب ، بن صالح هند ،أدبية الرحلة في رسالة الغفران، دار محمد علي الحامي ، الجمهورية التونسية ، الطبعة الأولى ، جانفي 1999

17_ الشيخ محمد عبد الغني ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب

18_ ضيف شوقي ، العصر العباسي الثاني ،ط8 دار المعارف

19_ عبد الستار ناهضة ، بنية السرد في القصص الصوفي ، المكونات والوظائف و التقنيات منشورات إتحاد الكتاب العرب 2003

20_ عبد الواحد عمر ، السرد و الشفاهية ن دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني ، دار الهدى للنشر و التوزيع ط2

21_ الكعبي ضياء ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط1،2005

22_ الكيلاني إبراهيم ،أبو حيان التوحيدي ، الطبعة الثانية ،دار المعارف ، مصر

23_ مراشدة عبد الرحيم،الفضاء الروائي ، الرواية في الأردن نموذجا،عمان ،وزارة الثقافة ،2002

24_ مبارك محمد ، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى 1999

25_ موسى بشرى ، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المركز الثقافي العربي ط1، 2001

26_ مونسي حبيب ، فعل القراءة النشأة والتحول ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، 2001

27_لحميداني حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 1991 ،

28_ المقدسي أنيس ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي

29_ وتيكي كميلة ، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)دار قرطبة الطبعة الأولى 2004

30_ يحياوي رشيد ، شعرية النوع الأدبي ، أفريقيا للشرق

31_ يقطين سعيد ، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي،ط1 ،أوت 1992

32_ يقطين سعيد ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، رؤية للنشر والتوزيع / 2006

33_ يقطين سعيد ،الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997

رابعا المراجع المترجمة إلى العربية

34_ إيزر فولفغانغ ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوبفي الأدب ، ترجمة حميد لحميداني ، الجيلالي الكدية منشورات مكتبة المناهل

35_ بوتور ميشال ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطوانيس ، منشورات عويدات ، بيروت الطبعة2، 1982

36_ريكور بول ، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 1 ،2003

37_هولب روبرت ، نظرية التلقي ترجمة عز الدين اسماعيل جدة 1994

خامسا المعاجم العربية

38_ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت 1985

39_ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 2000، المجلد2

سادسا المجلات و الدوريات

40_الأعرج واسيني ، الكتابة تراجيديا التوحيدي ، نص الخيبة والنور ، مجلة فصول أبو حيان التوحيدي

41_ مسعود محمد أحمد ، كتابات معاصرة ، مجلة الإبداع و العلوم الإنسانية ،مجلد 5 عدد 20 كانون الأول 1993 كانون الثاني

42_منير وليد نزعة النفي عند أبي حيان التوحيدي عن البعد النفسي الإجتماعي في الرؤية الصوفية، مجلة فصول ،أبو حيان التوحيدي

43_ الشهري ظافر بن عبد الله ، من صور التلقي في النقد العربي القديم، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية و الإدارية مجلد1_ عدد1، مارس 2001

44_لحميداني حميد ، مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجا ، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، عدد خاص حول جماليات التلقي عدد6خريف شتاء 1992

سابعا المواقع الإلكترونية

45_موقع ويكيبيديا

http://ar.wikipedia.org

http:/zendal.maktoobblog.com _46

الفصل الأول:

تمهيد 2

1 . سيرته.....5

1.1. إسمه.....5

1.2.أصله.....6

3.1.مولده.....9

4.1. وفاته.....11

2. مظاهر الحياة عصر التوحيدي.....14

1.2.الحياة السياسية.....14

2.2. الحياة الإجتماعية والإقتصادية.....16

3 . إتصاله بالوزراء.....18

4. بيئته الثقافية.....24

5. مهنة التوحيدي.....26

6.أساتذته.....28

1.6 - أبو سليمان السجستاني.....28

2.6 _ أبو زكريا يحي بن عدي.....29

3.6 _ أبو سعيد السيرافي 30

4.6 _ علي بن عيسى الرماني.....31

5.6 _ أبو حامد أحمد بن بشر المروروذي.....31

7. مؤلفاته.....32
1.7. الصداقة و الصديق.....33
2.7. كتاب المقابسات.....34
3.7. الإمتاع و المؤانسة.....35
4.7. الإشارات الإلهية و الأنفاس الروحانية 38
5.7. الهوامل والشوامل.....38
6.7. رسالة السقسفة 39
7.7. رسالة في علم الكتابة.....39
8.7. رسالة الحياة.....39
9.7. البصائر و الذخائر 40
10.7. مثالب الوزيرين 40
11.7. الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي.....41
8. حرق التوحيدي لكتبه.....42
9 .أسباب الحرق.....45

الفصـــــل الثانـــــي

1. الإمتاع و المؤانسة بين الشفاهية و الكتابة.....55
2. مفهوم السرد التوحيدي.....63
3. مكونات السرد التوحيدي.....67
1.3. الخبر.....68
2.3. الحوار.....71
أ_ السؤال.....71

ب _ التعليق.....74

ج _ الرواية.....76

د _ الإسناد 77

4. مصادر الحديث لدى التوحيدي.....79

4. 1_ الذاكرة.....80

4. 2 _ الحافظة.....81

4. 3 _ المتصرفة.....83

5. خصائص المروي في الإمتاع والمؤانسة 84

6. الراوي.....88

7. الفضاء.....95

1. الفضاء الجغرافي.....96

2. الفضاء النصي.....102

8. الزمن.....112

الفصـــــل الثالث

1. التلقـــــــــــي.....119

2. مستويات التلقي.....124

أ. متلق عام | خاص.....131

ب. متلق إيجابي | متلق سلبي.....132

ج. متلق معياري.....133

د. متلق سامع |متلق قارئ.....134

3. مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة 138

أ. متلق سامع 140

ب. متلق قارئ..... 148

ج. متلق متكلم | كاتب.....157

الخاتمة.....164

ثبت المصطلحات 167

المصادر والمراجع.....170

الملخص:

يشكل هذا البحث دراسة حداثية للموروث السردي التوحيدي وتحديدا في كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي يمثل أحد أهم مؤلفاته و الذي حاول من خلاله تسليط الضوء على الحياة السائدة خلال القرن الرابع الهجري.

وإعتمادا على نظرية التلقي و المنهج البنيوي استقصى هذا البحث خصائص الموروث السردي التوحيدي من خلال الوقوف على البنية السردية و مستويات تلقي هذه النصوص.

وقد أفضت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها:

مدى تأثير الظروف الإجتماعية القاسية التي عاشها التوحيدي في بلورة شخصيته حيث جعلت منه إنسانا متشائما ، حاقدا على زمانه و أهل زمانه ،فقد شكلت حياته سلسلة من الإخفاقات مما زاد من سخطه على الدنيا حتى وفاته.

خلصت هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائص السرد التوحيدي الذي إرتكز أساسا على الخبر والحوار بتقنياته المختلفة من سؤال وجواب وتعليق ، كما ركز على أساليب الرواية و الإسناد ، إن هذا الإسناد كان نتاجا لتعدد مصادر الحديث لدى التوحيدي و التي لم تخرج عن عناصر ثلاثة هي: الذاكرة و المتصرفة والحافظة مما أدى إلى تنوع المواضيع المسرودة وتعدد الرواة .

سلك التوحيدي مسلك شهرزاد في مسامراته من حيث تقسيم الكتاب إلى ليال ومما زاد من تميزه إختتام معظم الليالي بما أطلق عليه ملحة الوداع.

إختار التوحيدي المجلس ليكون فضاء لمسامراته و الليل زمنا لمحاوراته و التي استغرقت أربعين ليلة و أهم ما ميز هذه النصوص هو مرورها بزمنين زمن الحكاية وزمن الكتابة وهذا ما خلق إضطرابا في بنية الليالي.

مثل ابن العارض المتلقي السامع لأحاديث الإمتاع والمؤانسة و كان متلقيا معياريا متفاعلا

مع أبي حيان من خلال إصدارأحكام تخص ما يتلقاه من سرد ،إيجابيا من خلال مشاركته في نسج البنية السردية عن طريق الأسئلة التي كان يطرحها على التوحيدي.

مثل أبو الوفاء المهندس المتلقي القارئ والموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدي بكتابتها وفقا لمجموعة من الشروط التي زادت من جودة العمل.

لم يكن أبو الوفاء قارئا غائبا عن الخطاب المكتوب وإنما كان حاضرا من خلال الرسالة المبثوثة في المقدمة والتي املى من خلالها شروطه.

شكلت الرسالة المبثوثة في المقدمة الوثيقة المفتاح لكل القراء من اجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير ، فهي لم تكن موجهة لأبي الوفاء فقط و إنما للقارئ الناقدالذي يختلف ويتعدد بتعدد الأزمنة.

جمع التوحيدي بين وظيفتين ، فكان المتكلم في الخطاب الشفوي، والكاتب في الخطاب المكتوب

يبقى أن ثراء هذه النصوص يفتحها لاستيعاب قراءات أخرى لم يتناولها البحث.

Rèsumé

Cet exposé est une étude moderne du patrimoine narratif de ABU HAYAN ETTAWHIDI et précisement son ouvrage EL IMTAA WA EL MOUANASSA qui represent l' un de ses plus importants ouvrages et avec lequel il a essayé de mettre en surbrillance la vie regnante durant le qutrieme siecle AH .

En fonction de l'approche structurelle et la théorie de la reception , cet exposé à pour but d'étudier les caracteristiques du patrimoine narratif de ABI HAYEN en se tenant sur la structure narrative et les niveaux de reception de ces textes narratifs.

Les resultats auxquels cette recherche a abouti sont :

L' impact de la situation sociale difficile qu' il a vecu sur la construction de sa personnalite et qui l'a redu un homme pessimiste et rancunier et sa vie une serie d'echec jusqu'à sa mort.

Les conclusions de cette étude ètaient d'identifier les caracteristiques de recit de ABU HAYAN ETTAWHIDI qui est basé sur la nouvelle avec ses differents thechniques comme : la question, la reponse et le commentaire et sur l'affirmation et l'attribution ;cette attribution est le resultat de la multitude des sources de discours chez ABU HAYAN ETAWHIDI ce qui a mené à une multitude de sujets et de narrateurs.

ETTAWHIDI a suivi le même chemain que CHIRAZED à la dècomposition de ses contes en nuits.

ETTAWHIDI à choisi le conseil d'être l'espace de ses discours et la nuits leurs temps et qui ont durè 40 nuits.

EBN ELARID a représenté le recepteurs ècouteur des conversations d' ELIMTAA WA ELMOUANASSA , il était un recepteur normatif et interactif avec abi hayan à travers la délivrance des jugements consernant le recit qu'il reçoit,possitif à travers sa participation à la construction de la structure narrative on posant des questions à ABU HAYAN .

ABOU ELWAFAA était le recepteur lecteur de ces textes parcequ'il a demmandé à ABI HAYAN de les écrire selon des coditions :

ABOU ELWAFAA n'était pas absent du texte écrit mais il était prèsent à travers la lettre rédigé au début de l'ouvrage dont il a imposé ses conditions .

La lettre rédigé au début represente le document clé de tous les lecteurs pour Comprendre ce qui se passait au sein du Conseil du ministre; elle n'tait pas adressée sauf à ABI ELWAFAA mais au lecteur qui se differents a travers le temps.

ABU HAYAN ETTAWHIDI a joué deux role ,il était le locuteur au discours oral et l'écrivain au discours écrit.
La richesse des textes les permet d'avoir des lectures variées ,ne sont pas couverts dans la recherche.

Summary

This research is a modern survey of the inherited narrative of ABU HAYAN ETAWHIDI especialy the book of ELIMTAA WA ELMOUANASSA ; which is one of his inportant writing through it,he tried to focus the light on the prevailing life during the fourth centry

According to the theory of receiving and structural approche ; this research omited the caracteristics of ETAWHIDI heritical narration through stopping at the ETAWHIDI inherited narrative and the levels of reception this texts .

This survey lead to some results which are :

The effect of misirable social situation that etawhidi lived in forming his personality that made him a pessimist person ; malignant on his time and the people of his time ; so that his life made a series of failures that increased his resentement on the life till his death .

This survey went to stop on the caracteristics of ETAWHIDI NARRATION whitch is mainly based on the news and the dialogue with its different technics with asking ; answering and comontaring ; besides to consontrating on the way of the novel and the attributuion ,this attribution was a result of the variety of sources of speaking of ETAWHIDI that leads to the variety of themes and tellers .

ETAWHIDI walks on the same way as « SHIRAZAD » in his tales in divising the book into nights, and that made it important and special ending the magority of his nights that it was called **milhat el wadaa**

ETAWHIDI choose the board to be a space for his partye ; and the night a time for his dialogues and which tool 40 night . the most important thing that caracterize these texts ,is that they pass through two times,time of story , and the time of writing , which created a disturbance in the form of night .

IBN ELARID represent the receiver hearer of the tellings of elimtaa wa elmoanassa ; and it was interactive normative receiver with ABU HAYAN throught publishing jugements concerning the narrative that he receives positive throught his participating in weaving the narrative structure ;through questions that he was asking to ETAWHIDI .

ABOU ELWAFAA represent a reader how was absent from the writing speach but he was present through the broadcast letter on the front through which he told his conditions.

The broadcast letter on the front of the document forms the key for the readers in order to understand what was happening in the board of minister ; it was not for ABI ELWAFAA only but for the critic reader who is different and varians as time

ETAWHIDI joind between two functions so that he was the speaker in the oral speach and the writer in the writen speach .

The richness of the texts keeps it able to accept other reading